الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة المسيلة

كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

الشيخ أبو القاسم سعد الله مؤرخاً

2013-1932

مذكرة بحث مقدمة لنيل شهادة الماستر 2
في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر

إعداد الطلبة:
حفصية قطوش
سارة مبروكي
فطيمة طالح

إشراف الدكتور:
خير الدين شترة

السنة الجامعية: 1435هـ/ 1436هـ - الموافق لـ 2014م/2015م

نهدي هذا الجهد المتواضع

إلى روح

الأستاذ الدكتور بلقاسم سعد

الله

(رحمة الله عليه)

التشكرات

الحمد والشكر لله عزّ وجلّ الذي وفقنا إلى انجاز هذا العمل المتواضع، ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف الدكتور "شترة خير الدين" الذي صبر علينا ،وحرص على توجيهنا وإرشادنا طيلة فترة البحث وعمل حثيثا على التصحيح الدقيق لكل شائبة في البحث، وكنّا محضوضين لتوافق بحثنا مع اهتماماته العلمية .

كما نتقدم بالشكر الخالص وامتناننا الكبير إلى الأساتذة: جعنيط عيسى، والأستاذ طاهر بن علي،حميدي أبو بكر الصديق، والأستاذة معوشي أمال، خميسي سعدي، بن أزواو فتح الدين، يعيش محمد،مراد وزناجي، وكل أساتذة قسم التاريخ،بالإضافة إلى مكتبة البصائر بمدينة بوسعادة،من دون أن ننسى الأخت مريم خالدي.

المقدمة

أهمية الموضوع:

لقد ترددنا كثيراً في الخوض في غمار الترجمة للأشخاص والأعلام والكتابة عنهم وعن تراثهم، لكن رأينا أنه من باب إحقاق الحق وإبراز الحقائق التي تخدم تاريخنا العلمي والثقافي المحلي وتاريخ أمتنا الجزائرية، ولأجل إعطاء كل ذي حق حقه، بادرنا إلى الخوض في عالم السير والتراجم والكتابة عن أحد أعلام الجزائر وإن كان لا ينتظر منَّا ذلك، ولنرى ما قدَّم إلى الأمة الجزائرية، ولعل من هؤلاء الأفذاذ الذين عملوا بتفان وإخلاص وجد ومثابرة في سبيل الدفاع عن الدين ورفع ألويته عاليًا، والحفاظ على مقدسات هذا الشعب الأبي: الأستاذ الدكتور **سعد الله بلقاسم بن أحمد بن علي بن محمد بن سعد** الذي يعتبر صاحب مدرسة أدبية وفكرية غذَّاها بعلمه ورعاها وشملها باهتماماته، فقد سطعت عليه بركات وأنوار معهد الزيتونة العتيق فكانت حياته كلها علم وتعلم، تمتّع طوال حياته ومن بعد مماته بحسن الصيت، وبإعجاب واحترام وتقدير كثير من العلماء والمصلحين ورجال الأدب وعامة الناس..، فبالإضافة إلى تقريظ كثير منهم لكتبه، لم يستطيعوا حبس تقديرهم له ولجهاده الطويل، فتركوا في حقه كلمات خالدة شهادةً له بعد أنْ مضى إلى ربه، غير أنّ ذكره الحسن، وسيرته العطرة لا تزال تُدرس وتُتَدارس إلى يومنا هذا وإلى ما شاء الله.

كان -رحمه الله- على الرغم من الهيبة التي منحه الله إياه إلا أنه كان متواضعاً يحب الصالحين والعلماء ويتزل الناس منازلهم ويكرم الطلبة ويبذل لهم المساعدة، وكان لا يذكر أحدًا بسوء ويثني على العلماء، وأوقاته كلها أدعية وصلوات. كان يقضي يومه كله في الاشتغال في التدريس ويقضي حوائج الباحثين وأهل العلم في شؤون بحوثهم وعلومهم، قضى أكثر من نصف قرن ينشر العلم مثابرًا على ذلك في التعلم والتربية والتدريس والإشراف والنصيحة...ولا نبالغ إذا قلنا أن حياة وأعمال الشيخ أبو القاسم سعد الله شكَّلت نواةً حقيقية للحركة التاريخية والأدبية والفلسفية في الجزائر الفتاة، وهو ما أشار إليه عدد من المهتمين بالبحث في حياته وتراثه، لقد استطاع الشيخ بمنهجه في البحث والتدريس وأسلوبه في التعامل مع الواقع المحيط به أن يعطي لنفسه مكانةً عظيمةً بين معاصريه، وباتت دروسه ومؤلفاته مدرسةً أدبية واجتماعية وعلمية تربى عليها العديد ممن سيحملون مشعل التربية والكتابة والتأليف فيما بعد، فكان بذلك من أوائل من نبّه الأجيال الجزائرية الناشئة إلى ضرورة الاستفادة من عظمة تاريخنا بدون تحيّز، والاستفادة بعلوم الغرب من دون انغلاق، وتحفظ مقيت من أجل النهوض والارتقاء، كما قام بتصحيح الكثير من المفاهيم المغلوطة في أذهان العامة عن الدين والمجتمع والثقافة والتاريخ...

فسعد الله شخصية مستنيرة البصيرة، سديدة الملاحظة، تكتب تاريخًا لا يقف عند الظواهر والسطحيات بل تتغلغل إلى ما وراء ذلك، ووجهٌ من وجوه الثقافة العربية الإسلامية المعاصرة، بتأصيلاته الفكرية والمنهجية، وإبداعاته الأدبية، ومساهماته الهامة في بعث تراث الجزائر الثقافي، وفي بناء وصيانة الذاكرة الجماعية للمجتمع

الجزائري والأمة الإسلامية وهو المؤرخ المنقب الذي لا يقف عند حد من الحدود، وهو قطب وضع البذور الأولى لمشتلة المدرسة التراثية الجزائرية التي حلم بتأسيسها ورحل عنها وهي في مرحلة المخاض وهو أيضًا سليلُ المناهج الغربية الحديثة المُحْكمة؛ منبع الفعالية في زماننا، وكلّ من الأصالة والفعالية يكمّل أحدهما الآخر؛ لأنّ الفعالية المجرّدة من الأصالة تستحيل فعالية تنافريةً هدْميّةً منهِكة، حيث أنّ الأصالة هي التي تمنح الفعالية روحانيّتها وهويّتها الحضارية والإنسانية، وتحوّلها إلى فعالية تكاملية بنائية نموذجية، ونجزم هنا أنّ هذا الكلام ينطبق على دراستنا لهذه الشخصية التاريخية الفذّة، وفي الأخير فإن "سعد الله" عالم موسوعي جمع بين الدين والأدب والفلسفة والتاريخ، افتتح مسيرته العلمية أديبًا وشاعرًا لينتهي به المطاف مؤرخًا ومفكراً، فكان المثقف المناضل والكاتب الصحفي، والمعلم والمصلح والرّحالة، الذي أفنى حياته كلّها في البحث والتنقيب عن كنز الجزائر الدفين.

دوافع اختيار الموضوع:

وعن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع فهناك دوافع ذاتية وأخرى موضوعية، أما الدوافع الذاتية فهي تأثرنا بهذه القامة السامقة في سماء الجزائر علماً وأخلاقاً وتضحية..ولعل بداية التأثر كانت عند قراءة عابرة في كل ما كتب عنه ودوِّن بعد وفاته ومن ثمّ دفعنا الفضول إلى معرفة المزيد عن هذه الشخصية التي جعلت الكل يبكيه (أساتذة وطلبة، مثقفين وعوام، من أهل الاختصاص أو من غيره....)، أما عن الدوافع الموضوعية فكثيرة لعل أهمها رغبتنا الملّحة في إثراء مكتبة جامعة المسيلة بهذا العمل، ونفض الغبار على أحد أهم أعلام التاريخ الجزائري، بالإضافة إلى غياب دراسة أكاديمية خاصة بالأستاذ "أبو القاسم سعد الله" كمؤرخ كان له الفضل في بعث التاريخ الثقافي الجزائري (في حدود ما علمنا)، وارتأينا أن ننوِّه بالأعمال التاريخية التي أنجزها "سعد الله" على غرار موسوعته الثقافية وكتابه الحركة الوطنية، وكذا تنبيه المهتمين بتراثه من طلبة وباحثين يعرفونه كباحث في التاريخ ويجهلون أنّه أديب وشاعر وفيلسوف، هذا إضافة لرغبتنا في الخروج من دائرة التاريخ السياسي وأخبار الحروب والمعارك، إلى دراسة شخصيات ركزّت على الجانب الثقافي، ولعل آخر أهدافنا الموضوعية هو تفنيد المقولة التي تزعم أنّ الجزائريين لم يساهموا في كتابة تاريخ بلادهم، وأنّ الفضل فقط يعود للكتّاب الفرنسيين .

إشكاليـــــــة الموضوع:

سعد الله من الشخصيات التي أثارت نقاطاً مهمة برزت من خلالها تجاذبات في الآراء فأحدث ثنائية في المواقف، وهذه الثنائية تلمحها أيضًا في كتاباته التاريخية فهي مزيج بين الأدب والتاريخ، وحتى بعد وفاته شهدنا هذه الثنائية عبر الصحافة الفرانكفونية التي تجاهلته نقيض الصحافة الناطقة بالعربية التي نعته وتحسرت لوفاته، وفي خضّم هذا الطرح سنتناول في موضوعنا هذا إشكالية رئيسية هي: كيف ساهم "سعد الله" في

التأسيس للكتابة التاريخية في الجزائر؟ وينضوي تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الجزئية يمكن طرحها كما يلي: ما هي العوامل التي أثرّت في تشكيل شخصية أبي القاسم العلمية؟ وكيف تفاعل مع القضايا الجزائرية والعربية الإسلامية؟ وما دوافع تحوله من الأدب إلى التاريخ؟ وكيف تعامل مع أطروحات المدرسة الكولونيالية؟

المنهج العلمي المتّبع:

اعتمدنا في دراستنا هذه على منهجين علميين هما: المنهج التاريخي بقصد تحديد المفاهيم وتبرير بعض المعطيات، ذلك أن بعض جوانب المنهج التاريخي تستخدم في التحليل، حيث أن الظواهر في كل الأحوال زمانية أي لها زمان معين تقع فيه، وبهذا فهي لا يمكن أن تنفصل عن حياة المجتمع الماضية، وعليه يستفاد من الرجوع إلى الماضي لتعقب حدوث الظاهرة منذ بدايتها (مولد ونشأة وتكوين سعد الله)، والوقوف على المتغيرات المؤثرة فيها، وبالرغم من أن المختص في التاريخ يستخدم هذا المنهج لوصف الأحداث في الماضي، إلا أنه بالإمكان أن يُوظفه لغرض الوصول إلى المبادئ والقوانين التي يمكن عن طريقها تفسير الظواهر، وبذلك فإن هذا المنهج يَمكننا من ربط الحاضر بالماضي، ومحاولة فهم العوامل والظروف التي ساهمت في تكوين ظاهرة معينة سواء في الحاضر أو الماضي، فالمنهج التاريخي يستند على عرض وتحليل الاتجاهات والوقائع والأحداث السابقة بالنسبة لظاهرة معينة وربطها بالواقع الحالي، أي الإفادة من الماضي في فهم وتحليل الحاضر، ومحاولة وصل الحوادث وذلك بربطها في سياق زمني، ومن ثم استقراء تلك الحقائق. فقمنا بوصف واستعراض مسيرة هذه الشخصية، كونه الأنسب لسرد الأحداث وتقصيها وربطها زمانيًا ومكانياً، كما اعتمدنا على المنهج الوصفي؛ فحين يريد الباحث أن يدرس ظاهرة ما فإن أول خطوة يقوم بها هي وصف الظاهرة التي يريد دراستها وجمع أوصاف ومعلومات دقيقة عنها، والمنهج الوصفي يعتمد على دراسة الواقع أو الظاهرة كما توجد في الواقع ويهتم بوصفها وصفًا دقيقاً ويعبّر عنها تعبيرًا كيفيًا أو تعبيرًا كمياً، فالتعبير الكيفي يصف لنا الظاهرة ويوضح خصائصها، أم التعبير الكمي فيعطيها وصفًا رقمياً يوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها ودرجة ارتباطها مع الظواهر المختلفة الأخرى؛ والمنهج الوصفي مرتبط منذ نشأته بدراسة المشكلات المتعلقة بالمجالات الإنسانية وما زال هذا هو الأكثر استخدامًا في الدراسات الإنسانية حتى الآن وذلك نتيجة لصعوبة استخدام الأسلوب التجريبي في المجالات الإنسانية.

الخطة المتّبعة:

ولمناقشة الإشكاليات السابقة اعتمدنا على خطة مكونة من مقدمة وثلاث فصول وخاتمة، أما الفصل الأول (أبو القاسم سعد الله النشأة والتكوين) فتناولنا فيه البيئة السياسية والثقافية والاجتماعية وأثرها في بناء الشخصية التاريخية لأبو القاسم سعد الله، و مولده ونسبه و شخصيته من خلال شهادة معاصريه ومن اهتم

بتراثه، ومراحل التعلم والتكوين بالإضافة إلى إجازاته وشهاداته، فيما الفصل الثاني (النشاط العلمي والوطني لأبو القاسم سعد الله)، وتطرقنا فيه إلى نشاطه الطلابي والوطني بدءًا بمرحلة الزيتونة وانتهاءً بالولايات المتحدة الأمريكية، و نشاطه العلمي والصحفي و نشاطه التدريسي والتربوي....أما الفصل الثالث (خصائص فن الكتابة والتأليف التاريخي عند سعد الله) فقد خصصناه لتناول آثار الشيخ سعد الله المرتبطة بالتأريخ (وصفاً ونقداً)، الكتابات التاريخية لأبي القاسم سعد الله (أسباب التحول من الكتابة الأدبية إلى التاريخية، الاهتمام بالتاريخ الثقافي بدل السياسي، منهجيته في كتابة التاريخ، إسهاماته النقدية في الكتابة التاريخية..) ويندرج تحت هذه الفصول مجموعة من المباحث والمطالب والعناصر.

أهم المصادر والمراجع المعتمدة:

استطعنا أن نجمع بعض المصادر والمراجع المتعلقة بموضوعنا، ومن أهم هذه المصادر مؤلفات "سعد الله" التي أفادتنا كثيرًا فيما يخص سيرته الذاتية من بينها: كتاب "مسار قلم" بأجزائه السبع وكتاب "منطلقات فكرية " الذي يعتبر الرّكيزة في فكر "سعد الله"، وخصوصًا من خلال مقالاته وأبحاثه التي تتمحور حول القضايا الثقافة القومية في الوطن العربي والجزائر خاصة، والمصدر الملم والمهم كتاب "حوارات" أبرز لنا مواقف "سعد الله" من مختلف الأحداث، هذا إضافة إلى كتابين مهمين للمترجم: "أفكار جامحة" و"أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر " تضمنا مقالات متنوعة اهتمت بتاريخ المغرب العربي عامة والجزائر خاصة. أمّا بخصوص المراجع فاعتمدنا على عدد كبير منها ولعل أهمها كتاب "حوار للأستاذ مراد وزناجي" برواية أبو القاسم سعد الله الشخصية، وكتاب "أبو القاسم سعد الله بعيون مختلفة"، بالإضافة إلى بعض المقالات...إلخ

الصعوبات:

أكيد انّه لا يخلو أي بحث من الصعوبات ومن بين العراقيل التي واجهتنا: تشعب الموضوع وتنوع مشاربه، ما شكّل عائقاً لنا بالإلمام بكل جوانبه بالإضافة إلى افتقار مكتبة التاريخ لجامعة المسيلة لمؤلفات "سعد الله" ما اضطرنا لاقتنائها مما شكل لنا عبئاً مادياً آخر في انجاز هذا البحث، هذا بالإضافة إلى بعض الصعوبات التي لا داعي لذكرها، كونها عامّة على جميع الطلبة.

الفصل الأول

أبو القاسم سعد الله

النشأة والتكوين

- البيئة السياسية والثقافية والاجتماعية وأثرها في بناء الشخصية التاريخية لأبو القاسم سعد الله
- المولد والنسب
- تعلمه وشهاداته

1. البيئة السياسية والثقافية والاجتماعية وأثرها في بناء الشخصية التاريخية لأبوالقاسم سعد الله

أ. الإطار الجغرافي لمدينة واد سوف

وادي سوف اسم مركب من كلمتين"وادي"و"سوف"؛ فسوف لا تمثل فقط منطقة طبيعية وجغرافية بالإمكان تحديد ملامحها، بل هي أيضاً منطقة بشرية[1]، وإقليم واد سوف يقع جنوب شرق الجزائر وهو جزء من العرق الشرقي الكبير، يحده من الشرق نفطة ونفزاوة وهي حدود تونسية، ثم بئر رومان وغدامس، ومن الجنوب واحات غدامس على الحدود الليبية ومن الغرب وادي ريغ (توقرت وتماسين) وورقلة، ومن الشمال بلاد الزاب بسكرة ليمتد إلى جبال الأوراس والنمامشة وإلى منطقة نفزين[2]، وهي محاطة بثلاث شطوط وسبخات هي: (شط وادي ريغ من الغرب وشط مروانة وشط ملغيغ وشط الغرسة من الشمال وشط الجريد من الشرق، وبذلك فمنطقة سوف تتشكل في نصف دائرة وتتجمع حول عاصمة الإقليم مدينة الوادي حسب دراسة "فوزان"[3].

أمّا سطح سوف عبارة عن منطقة صحراوية تشكل الرمال معظم مظاهر سطحها وهي ضمن ما يعرف بالعرق الشرقي، فهي بحر من الرمال أمواجه الكثبان الرملية البعض منها مرتفع جدًا[4]، أمّا طقسها فهو قاسي جدا ممّا يؤثر على حياة الإنسان وممارسته لنشاطاته المختلفة فهو شديد البرودة شتاءا، مرتفع الحرارة صيفا أمّا ممارسة الفلاحة فيها فهي صعبة جدا، وعن هذا يذكر "سعد الله": «ولكنها من الناحية الطبيعية جافة إلى درجة القسوة واسعة كالمحيط ومع ذلك تجد الإنسان أمامها مستسلمًا إلى درجة القدرية، يحس بضعفه حتى ليكاد يفقد ذاته، ولا يكاد يجد مهرباً من رتابة رمال الصحراء ولفح شمسها إلا في ظل نخلة وارفة أو خرير ساقية حزينة أو صوف حيوان أليف أو نظرة في النجوم السابحة يضاف إلى ذلك عهد الشباب الجامح والغريزة الطافحة»[5].

ب. الأوضاع السياسية في منطقة وادي سوف

عاش الجنوب الشرقي حدث الاحتلال المرّوع أثناء التوغل الفرنسي فيما بين 1830م إلى 1853م خاصة بعد سقوط مدينة الجزائر في 5 جويلية 1830م، فأثّر على أهالي وادي ريغ وسوف حيث ترك في

---

[1] - زقب عثمان، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة وادي سوف(1918-1947) وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا**، رسالة ماجستير في التاريخ، يوسف مناصرية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، (2005-2006م)، ص 14 .

[2] -بن موسى موسى، **الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها (1900-1939)**، قسم التاريخ والآثار، أحمد صاري، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية (2005-2006م)، ص19.

[3] - مياسي إبراهيم، "نبذة تاريخية عن وادي سوف " مجلة أوراق ثقافية، د ع، 28 فبراير2013،(نسخة الكترونية).

[4] - زقب عثمان، المرجع السابق، ص 15.

[5] - سعد الله (أبو القاسم)، **أفكار جامحة**، الجزائر : عالم المعرفة، 2011، ص 182.

نفوسهم الهلع والفزع، ودخلت المنطقة بأكملها في حروب واضطرابات[1]، وقد بدأت فرنسا تفكر في احتلال إقليم سوف منذ الأيام الأولى من سقوط مدينة قسنطينة في شهر أكتوبر 1837م، حيث برهنت الأحداث على أنّ سوف هي القاعدة الخلفية للمجاهدين والزعماء، ومنذ 1848م شرعت الإرساليات الاستكشافية في التوافد على وادي سوف ساعدها فيما بعد على التوغّل في المنطقة [2] باعتبارها منطقة عبور إلى تونس وطرابلس، واهتمامات فرنسا بإيجاد مشروع بحر داخلي صحراوي وربط المنطقة بالبحر الأبيض المتوسط[3]، فكان دخول القوات الفرنسية منطقة سوف في 14 ديسمبر 1954م، والجدير بالذكر عدم تكافؤ القوة بين الطرفين كباقي المناطق الأخرى من الجزائر وطبيعة السكان الذين يعيشون حياة قبلية بدوية مع انعدام وحدة الصّف نتيجة الصراعات القبلية[4]، وعيّن "فرحات بن السعيد" على قيادة ريغ ووادي سوف من طرف الجنرال "ديفو" الذي كثّف جهوده للقضاء على المقاومة التي لجأ زعماؤها إلى تونس، فكانت المنطقة محلّ صراع مرير ومقاومة متواصلة دامت قرابة 30 سنة لم تتمكن السلطات الفرنسية من تثبيت وجودها على أهل سوف إلى بداية الثمانينيات عندما تفرّغت لتلك المقاومات وإزاحة زعمائها[5]، وكانت السياسة الفرنسية المتبّعة هي إبادة كل حركة تمردية قد يسعى إليها الأهالي خلال الفترة (1882 إلى 1939م)، وقد عرف النظام الإداري أثناء الاحتلال الفرنسي عدة تقسيمات:

- نظام القياد (1854-1873)م.
- نظام الخلفاء والشيوخ (1854-1885)م.
- تأسيس ملحقة الوادي 1885م تابعة لدائرة توقرت ورغم السياسة الاستعمارية منذ الاحتلال التي عمدت إلى إخضاع الأهالي عن طريق القوة إمّا بالتشريد أو القتل أو العقوبات المادية المتنوعة، لكن هذا لم يمنع الأهالي من أن يواكبوا مسيرة الكفاح الوطني، وذلك من خلال مساندة المقاومين عبر مراحل المقاومة الوطنية المسلحة[6].

ت. الأوضاع الاجتماعية في منطقة وادي سوف

فتقسيم السكان في المجتمع السوفي حسب نمط حياتهم نلحظ الآتي :

- **البدو والرحل:** البداوة هي الحياة الأصلية للقبائل العربية التي استوطنت المنطقة في أزمنة متفاوتة وهذا لحاجتهم الماسة للحياة الطبيعية حيث تتميز البداوة في المجتمع السوفي بعدة خصائص منها :

[1]-بن موسى موسى، المرجع السابق، ص 03 .
[2]- مياسي إبراهيم، المرجع السابق .
[3]-بن موسى موسى، المرجع السابق، ص 05.
[4] - نفسه، ص 10.
[5]- نفسه، ص 10.
[6]- نفسه، ص، ص (17، 22).

- البدو يعيشون في جزء من السنة على الصحراء خارج الواحات مع قطاع الماشية والإبل لمدة ثلاثة أشهر من أكتوبر إلى ديسمبر، لكن السنة الوفيرة تمتّد حتى جانفي أو فيفري.
- ووجود نوع من البداوة تقوم على التنقل المحدود وهم "شبه الرحّل"، حيث ينتقل بعض أفراد القبيلة بمعية قطعانهم ولكنّهم يعودون إلى مناطقهم الأصلية وهذا خاصة في السنوات الجافة، أمّا التركيبة الاجتماعية للبدو تقوم على القبيلة التي ينتمي إليها البدو مهما كان تواجدهم، وتمثل الأسرة قاعدتها الأساسية ومناطقهم تخضع للعرف السائد والعادات التي انتشرت بينهم .

- **سكان المدن والقرى السوفية:** بعد استقرار القبائل الهلالية تكوّن بواد سوف في أواخر القرن 19م مدينتين هامتين هما :

- عاصمة الإقليم حيث قدّر تعداد سكانها سنة 1883م (5000ساكن) ومدينة قمار بها (3000 ساكن)، والعامل الأساسي في التوسع العمراني هو البحث المستمر على المكان الجيد الصالح لإنجاز بستان النخيل (الغوط) حيث المياه القريبة من السطح وقلّة الرمال، وقد كانت هذه الخصائص تتوفر خاصة في المنطقة الشمالية والشمالية الغربية، وبعد زمن من إنجاز هذا الغوط تغادر العائلات مركزها الأصلي في المدينة أو القرية وتستّوطن بالغوط الجديد أو قربه فتبني مساكنها ومساجدها وهكذا يأخذ المركز الجديد يتطور إلى أن يتحول قرية صغيرة، وعلى هذا الأساس ساد مختلف هذه الأوساط الاجتماعية مستوى اجتماعي متقارب وحالة صحية طبيعية حسنة عمومًا، أمّا الأواصر التي تربط بين فئات المجتمع السوفي قوامها الأول العائلة ثم القبيلة وبعدها العرش، حيث يربط بينها الوّد ويطغى عليها الانسجام لوجود "العرف" المطاع والمسموع لدى غالبية السكان[1]، وسكان سوف عرب أقحاح[2].

والنشاط الاقتصادي الذي مارسه المجتمع السوفي في أساسه يتمحور حول أنشطة معهودة يمارسها الفرد السوفي كباقي أفراد المجتمع الجزائري الريفي وهي الرعي والزراعة والصناعة الحرفية والتجارة، وفيما يخص الزراعة فكانت زراعة النخيل لما توفره للسوّاف من حياة كريمة والمحصول الثاني ذو الأهمية البالغة هو "التبغ" وأول منطقة بدأت في زراعته هي قمار وهذا في نهاية القرن 18م، حيث جلب أهل قمار بذوره من نواحي باجة التونسية حتى كانت قمار لزمن طويل مهد لزراعته والمنتج الوحيد له[3]، وكانت الشركات الفرنسية تمتّص عرق جبين والد أبو القاسم سعد الله وإخوته وتحتكر دخلهم الوحيد وهو القليل من التمر والدخان وتأخذهم بأبخس الأثمان[4].

ث. الأوضاع الثقافية في منطقة وادي سوف

[1]-بن موسى موسى، المرجع السابق، ص، ص(47، 59).

[2] - بلغيث(محمد الأمين)، **الشيخ محمد بن عمر العدواني**، ط1، الجزائر : كرستال برنت، 2002، ص10.

[3]-بن موسى موسى، المرجع السابق، ص 59.

[4]- سعد الله (أبو القاسم)، **حوارات**، الجزائر:عالم المعرفة، 2011، ص 178 .

اتبع الاستعمار الفرنسي في الجزائر سياسة التجهيل وبذل كل جهوده لتحطيم ثقافة ولغة الشعب الوطنية ولكي يضمن لسياسته التجهيلية هذا النجاح والتفوق سلّط الفقر والفاقة على الشعب الجزائري، حتى يشغله بالبحث عن لقمة العيش ويلهيه وينسيه جانب الفكر والتربية والثقافة والتعليم، ولقد أدرك الجزائريون أهمية التربية والتعليم والتدريس مثلما أدركوا أهمية المقاومة السياسية، وبدأت حركة التعليم تنمو وتتطور شيئًا فشيئاً خاصة بعد أن عاد من المهجر عدد من العلماء إلى الوطن منهم الشيخ عبد الحميد بن باديس والإبراهيمي وغيرهم من رجال العلم والإصلاح في ربوع الوطن، وقد كانت زيارة الشيخ عبد الحميد بن باديس لقمار عاملاً محفزاً على هجرة طلاب العلم[1] عبر مختلف الجامعات (الزيتونة، القرويين، الأزهر)، ومن العامل الإيجابي أنّ هذه الجامعات فتحت أبوابها لهؤلاء الطلبة للتّعلم والتربية وطول فترة النصف الأول من القرن 20م كان جامع الزيتونة مركز إشعاع علمي ساهم في تعليم أبناء الجزائر عامة وطلبة سوف خاصة، وبعد عودتهم إلى المنطقة ساهموا في نشر الوعي في أوساط الأهالي عن طريق الإمامة والتدريس والتأليف، وعلى رأس هؤلاء الأعلام نجد العالم الفذ الشيخ خليفة بن حسن القماري[2]، والشيخ عبد القادر الياجوري، والشيخ محمد الطاهر التليلي باعث النهضة العلمية بقمار والشيخ محمد التيجاني[3].

نستنتج أنّ البيئة التي نشأ فيها أبو القاسم سعد الله كانت بيئة تقليدية، حيث جمع بين أصناف المعارف العربية الإسلامية المعروفة في المدارس والمعاهد التقليدية كجامع الزيتونة والأزهر الشريف والقرويين، والبيئة القاسية التي عاشها سعد الله لم تثن من عزيمته في البحث والترحال؛ فقد بثت فيه روح الصبر وتحمل الشدائد والعزيمة والإصرار وما لاحظناه أيضاً أنّ المجتمع السوفي كانت تربطه علاقة انسجام وترابط وهذا ما كان له انعكاس ايجابي على شخصية مترجمنا.

2. المولد والنسب

أ. **مولده ونشأته:** أبو القاسم سعد الله كان يدرك أنّه من الصعب على المرء أن يقدم نفسه بنفسه على حقيقتها لأنّ النّفس ترغب بالمدح وتنسى الأشياء الأخرى، فلذلك في كثير من الأحيان يفضل أن يقدمه الغير بناءً على ما شاهدوه أو عرفوه عنه، أو بناءً على ما وجدوه في كتبه ومؤلفاته [4]وذكر سعد الله أنّه: «ولد في البدوع بجوار مدينة قمار بوادي سوف ولا يذكر أهله سوى أنه ولد في صيف شديد الحرارة عام ترميم الجامع الكبير ومدرسته بقمار عام 1930م أو 1931م»[5]، تدعى عائلته "بأولاد علي بن مسعودة" ينتسب إلى عرشين كبيرين هما أولاد عبد القادر من جهة الأب وأولاد بوعافية من جهة الأم جده علي الذي ولد سنة 1845م

[1]- سعد الله (أبو القاسم)، **أفكار جامحة**، المصدر السابق، ص 174.

[2] - بلغيث (محمد الأمين)، **محمد بن عمر العدواني**، المرجع السابق، ص11 .

[3]- سعد الله(أبو القاسم)، **أفكار جامحة**، المصدر السابق، ص 174.

[4]- وزناجي(مراد)، **حديث صريح مع أبو القاسم سعد الله في الفكر والثقافة واللغة والتاريخ**، ط3، الجزائر:الحبر، 2014 م، ص 25.

[5]- سعد الله(أبو القاسم)، أفكار جامحة، المصدر السابق، ص 177.

تزوج من مبروكة نصة سنة 1870م وأنجبا عبد الله ومحمد، إبراهيم وأحمد والد أبو القاسم سعد الله وتوفي سنة 1920م، جد والد أبو القاسم سعد الله علي اسمه محمد بن سعد وكانت له ثروة كبيرة لكنه افتقر بعد غنى وتوفي وبقيت زوجته مسعودة تربي أبناءها ومنهم علي جد أبو القاسم سعد الله الذي عرف بين الناس بأمه فكان يقال له:علي بن مسعودة وعرفت عائلتهم فيما بعد بإسم عائلة علي بن مسعودة إلى غاية ظهور الحالة المدنية على يد الفرنسيين سنة 1934م وعندئذٍ لقّبهم كبير العائلة عبد الله عم أبو القاسم بلقب "سعد الله" استنادا إلى اسم جدهم (سعد) وأبو القاسم هو ابن أحمد بن علي بن محمد بن سعد بن مبارك بن جحيدر[1].

أمّا عن مسقط رأسه فيقول أبو القاسم: «ولدت بمنطقة ذات هواء طلق بها واحات مفتوحة للرمال معظم إنتاجها غرسات نخيل وشجرات دخان كما اشتهرت سوف بالحفاظ على اللغة العربية فهي من اللسان الدارج القريب جدًا من الفصيح، وفيما يخص العلم فكان محترمًا عند أهله والرحلة في طلبه وخصوصًا إلى تونس ولا ملاذ لأهل سوف إلا الصبر على المعاناة والجوع لطلب العيش»[2]، وكان مثل باقي أطفال الجزائريين في تلك الفترة لا يلبس جديدًا فكان: «الكبير منا يترك لباسه للأصغر منه وهكذا أي أنّ الألبسة الواحدة كان يتداولها الأولاد» وكان ينتعل العفان[3]، حتى يقيه برد الشتاء وصقيعه فقط أمّا بقية السنة فيمضيها حافيًا [4].

ب. عائلته :

- **والده:** ولد تقريباً سنة 1891م ووافته المنية في 07 نوفمبر 1957م[5]، وكان له دورًا كبيرًا في تحفيز ابنه بلقاسم على التعلم، فعند ختمه للقرآن الكريم قام بمكافأته بقميص من مخلفات الحرب العالمية الثانية وأقام له حفلة دينية ووليمة "ذبح لها كبشين"[6].
- **والدته:** هي العبيدية هالي وهي ابنة الأخضر بن مبارك شقيقة الحفناوي، وأبو القاسم سعد الله ابنها الأول حيث كانت مكانته عندها مميزة وأغلب زياراته لمسقط رأسه بقمار كان يقضيها بجانب والدته التي جمعته بها علاقة وطيدة، وحُرم من وداع والديه لانشغاله بطلب العلم في ديار الغربة، فتوفي والده وهو بالمشرق، أمّا وفاة والدته فصادف وجوده بالولايات المتحدة الأمريكية.
- **إخوته:** وإخوته من الأب خمسة وهم: البشير والطاهر والصادق ومحمد وخيرة، أما إخوته الأشقاء فهم: علي وإبراهيم وعمر (إسماعيل) وأبو بكر (خالد) ومباركة، أما البشير (الأخ الأكبر) فقد هاجر إلى السعودية

---

[1]- سعد الله(أبو القاسم)، **مسار قلم**، ج 5، الجزائر: المعرفة، 2013م، ص-ص(155-156).

[2]- وزناجي (مراد)، المرجع السابق، ص 27.

[3] - **العفان:** حذاء مصنوع من الشعر والصوف.

[4]- وزناجي (مراد)، المرجع السابق، ص 26.

[5]- سعيدوني (ناصر الدين)، **دراسات وشهادات مهداة إلى الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله**، ط1، لبنان: دار الغرب الإسلامي، 2000، ص 491.

[6]- وزناجي (مراد)، المرجع السابق، ص 26.

سنة 1954م وأخذ الجنسية بتاريخ 1381/07/22هـ، كما ساهم في الثورة الجزائرية بماله[1]، توفي بالسعودية، والطاهر هو أخ غير الشقيق توفي في 1971/08/20م بقمار[2]، وعلي كان طالباً بجامع الزيتونة عام 1956م[3]، ثم درس الفلسفة بجامعة القاهرة التي تخرج منها وعاد للجزائر سنة 1964م[4] وواصل دراسته بفرنسا 1967م، كان شقيقه بلقاسم يدعمه بالكتب الفلسفية ثم رجع إلى الجزائر في 05 ديسمبر 1971م وأقام بقسنطينة حيث كان يدرّس هناك[5]، وأما أخوه إبراهيم فقد كان له طموح كبير للدراسة بالمشرق، غير أن صعوبات كبيرة حالت دون تحقيق أمنيته، ما استدعى تدّخل أبو القاسم الاتصال بالملحق الثقافي التونسي بواشنطن يترجاه ترحيل شقيقه إبراهيم من باريس، ومع هذا انتظر إلى غاية سنة 1963م حيث قُبل في بعثة للكويت وشارك بها وهناك أكمل دراسته في مدرسة الشويخ على نفقة دولة الكويت والجزائر[6] ثم الجزائر فأمريكا حيث حصل على دكتوراه في الفيزياء النووية[7]، ومن إخوته أيضاً عمر (إسماعيل) الذي تحصَّل على منحة إلى سوريا بفضل وساطة السيد أحمد فرجاج العضو النشط بإتحاد الطلبة بالقاهرة[8]، وآخر إخوته أبو بكر (خالد) درس بثانوية "عمارة رشيد" بالجزائر العاصمة، وفي 04 جويلية 1968م تحصَّل على شهادة البكالوريا[9] وتخصص في الرياضيات.

§ **أخواله:** وأشهر أخواله وأكثرهم قرباً منه الشيخ الحفناوي هالي(1911- 1965)م الحفناوي بن سي الأخضر بن سالم الباي[10] متخرج من جامع الزيتونة، وكان الكاتب العام للجنة التعليم العليا لـــجمعية العلماء المسلمين[11]، يصفه أبو القاسم سعد الله بالهادئ والأديب كما بقيا يتراسلان في فترة تواجد هذا الأخير بالخارج[12]، وبعد الاستقلال عمل في وزارة الأوقاف توفي في حادث سيارة سنة 1965م أثناء تأدية واجبه الرسمي[13]، ومن أخواله أيضاً عبد القادر هالي الذي يصفه سعد الله بالمندفع وهو الأكبر سنّاً، فقد كان يمارس السياسة وينتمي لحزب الشعب و يعمل بالتجارة بين الوادي وبسكرة[14].

---

[1]- مسار قلم، ج 5، المصدر السابق، ص-ص (9-10).

[2]- سعد الله(أبو القاسم)، **مسار قلم**، ج3، الجزائر: عالم المعرفة، 2011، ص 277.

[3]- سعد الله(أبو القاسم)، **مسار قلم**، ج1، الجزائر: عالم المعرفة، 2011، ص 39.

[4]- نفسه، ج3، ص 74.

[5]- نفسه، ص 280.

[6]- نفسه، ص 248.

[7]- نفسه، ص 26.

[8]- نفسه، ص 82.

[9]- نفسه، ص 118 .

[10]- نفسه، ج1، ص 107.

[11]- نفسه، ص 30.

[12]- نفسه، ج3، ص 14.

[13]- نفسه، ج1، ص 30.

[14]- نفسه، ج3، ص 14.

- **أسرته الصغيرة :**

§ **زوجته:** وهي السيدة حفصة بنت عمر بن سالم من أسرة محافظة كانت طالبة عنده بقسم التاريخ (جامعة الجزائر)، اقترن بها بعد عودته من الولايات المتحدة الأمريكية وهو في سن الأربعين أي يوم 30 مارس 1969م، تقدم لخطبتها رفقة رفيقيه عبد الله ركيبي ومحمد مهري، وكان زواجه يوم 24 جويلية 1969م، حيث حضر حفل زفافه كل من عبد الله الركيبي وعبد الله عثامنية وفيصل الهالي وأمه وإخوته إبراهيم وخالد[1]، وخالد[1]، وفي سيرته تحدث عن دعم زوجته له في أكثر من موضع من خلال تفهمها لطبيعة عمله أولاً ثمّ بتوفير بتوفير شروط العمل رغم الصعوبات المحيطة التي عاشها ثانيًا بإعانته بشتى الوسائل وإبداء الرأي أحيانًا فيما يكتب فهي صاحبة رأي حصيف وثقافة واسعة [2]ويذكر: «...وهي التي واستني حين ضاعت محفظتي الثمينة وكدتُ أصاب باليأس والإحباط وهي التي شدَّت من أزري كلما واجهتني عراقيل وتحملت معي الغربة وشظف العيش والحرمان»[3] وقد أجاد في وصفها حين قال: «الجمال والثقافة والجزائرية والصحراوية والعربية ثم التاريخ»[4].

§ **ابنه الوحيد (أحمد):** المولود بتاريخ 12 فيفري 1974م بالعاصمة وقد سمي على اسم جدّه[5]، تحصَّل سنة 1985م على شهادة التعليم الابتدائي، وقد كان والده حريصًا على تحفيظه القرآن الكريم، ثم تحصَّل سنة 1993م على شهادة البكالوريا، وفي سنة 1997م سافر إلى أمريكا ودرس بمعهد "اوقسبورغ" تخصص إدارة أعمال، وفي ماي 1999م حصل على شهادة الليسانس[6].

ت. **شخصيته من خلال شهادة معاصريه ومن اهتم بتراثه:** عاش الدكتور أبو القاسم سعد الله بيننا دون أن نعرف خصاله، ولكن بعد موته اكتشفنا الكثير منها من خلال مواقف عاشها مع أشخاص كانوا شهود عيان نقلوا ما رأوه وما لمسوه من ميزات شخصه، وهنا يقول عبد الرزاق قسوم: «.. هو جبل من المعرفة وعندما يتهاوى هذا الجبل فإنه يكون كالزلزال لا يحدث بوطنه فقط ولكنه يمتد أثره إلى جميع أنحاء الأمة العربية الإسلامية نقول هذا الآن أبو القاسم سعد الله تغذى بحب الجزائر وحرص على أن يكون دقيقاً في إعطاء أحكامه واقعيًا في مناقشة القضايا وعميقاً في تحديد أبعاد الحدث»[7]، وما ميَّز شخصية سعد الله اتسّامه بالصبر وهذا ما أشار إليه صديق عمره عبد الله ركيبي أين تعرَّض لضغوط نفسية مثله مثل كل من تخرَّج من جامعات غير فرنسية وصبر على بقائه دون سكن مدة طويلة: «لا أنسى أبدًا أنني زرته وكان معي الصديق الأستاذ عبد

---

[1]- مسار قلم، ج3، المصدر السابق، ص-ص(184 -185).

[2]- حوارات، المصدر السابق، ص 222.

[3]- حمادي بشير، **"جيل الثورة سلّم الراية لمن لا يستحقها"**، مجلة الحقائق، ع: 28، 19إلى25ماي2007، ص07.

[4]- ج3، المصدر السابق، ص185.

[5]- نفسه، ص405.

[6] - سعد الله(أبو القاسم)،**مسار قلم**، ج6،الجزائر:عالم المعرفة، 2011، ص447.

[7]- قسوم عبد الرزاق، **"موسوعة فكرية منفتحة على المنهجية الواقعية"**، الخبر، ع:7284، 15 ديسمبر 2013، ص21 .

الله عثامنية فوجدناه ينام في منزل خاله المرحوم الأديب حفناوي الهالي ورأيت المطر يتساقط من على سقف الحجرة التي كان ينام فيها وكان الفصل شتاءً ....»[1].

كما عرفه متواضعًا وهذا ما استغله خصومه ومنافسوه فهاجموه ولا يرد عليهم إلا بقوة الحجة كون سعد الله لا يحب المواجهة[2] وبرز تواضعه في عدم الجري وراء المسؤوليات «ففي أواخر الستينات اقترحت عليه أن يترشح لنيابة العمادة فاعتذر»[3]، وكان طموحًا فهو لا يقتنع بما حقق ولكنه يطلب المزيد ومتسامحًا لا يميل إلى المواجهة والمجابهة والخصومة كما كان يرفض العداوة ويحافظ على علاقة طيبة مع من يختلف معه وهذا قد ساعده على أن يكون موضوعيًا في أحكامه بحيث نظر إلى الحركة الوطنية الجزائرية نظرة متكاملة فلا يفضل جماعة على أخرى .

كما شهد له بالقيم والفضائل من خلال شهادة الأستاذ محمود الأمين العالم: «... هو ابن بار من أبناء الجزائر، هذه القمة الشامخة من قمم أمتنا العربية وهو زهرة تفتحت في حقول الوعي والنضال وتعمقت جذورها واقع أرضنا وتراثنا العربي القومي واستلهمت أفضل ما فيه من معاني وقيم وفضائل ....»[4] وأشاد الأستاذ ناصر الدين سعيدوني بشخصية أبو القاسم العلمية حيث قال «...جمعت العمق في البحث والمرونة في المعاملة والثبات على الخط والقابلية للتأقلم ... وهذا ما جعل رحلة العمر ومشوار الحياة لهذا الكاتب الأديب والمؤرخ المحقق يكتسي طابع التطور في نوعية الاختصاص ومواضيع الاهتمام ...» [5] كما شهد له بالكتابة والاستماع أكثر من الحديث وهذا ما أكده محمد العربي معريش: «سمعته أكثر من مرة في محاضرة الليسانس يقول للطلبة لو قدمت لكم هذا مكتوبا لفهمتموني أكثر»[6]، كما تمتّع سعد الله بالحرية والاستقلالية في الكتابة فهو غير محسوب على أي تيار وظلّ زاهدا في السلطة، وكان حريصا على المنهجية في البحث يفرض شروطه العملية والأكاديمية في الإشراف من البداية « كان الحزم والعزم ديدنه في الإشراف دقيقا فيه يفضل تتبع موضوع الرسالة أو الأطروحة مبحثًا مبحثاً لاسيما في مجال المنهجية وتقنيات البحث واللغة ... كان حريصًا على الزيارات العلمية للتزود بالمصادر والمراجع خاصة إذا كان الموضوع غير جزائري ... مركزاً على المادة التوثيقية والاطلاع على مراكز البحث»[7]، أبو القاسم لا يؤمن برسائل علمية عن مواضيع غير جزائرية لا يزور يزور فيها الباحث البلد المعني وكان شديد التحفظ من وسائل الإعلام التي تجري وراء الأساتذة في المناسبات

[1]- سيعدوني(ناصر الدين)، دراسات وشهادات، المرجع السابق، ص-ص(486-487).

[2]- سعيدوني (ناصر الدين)،المرجع السابق، ص 484.

[3] - نفسه، ص485.

[4]- نفسه، ص491.

[5]- نفسه، ص499.

[6]- بن خيرة (نجيب)، **أبو القاسم سعد الله بعيون مختلفة**، الجزائر: عالم المعرفة، 2014م، ص297.

[7]- نفسه، ص300.

لأغراض سياسية أو دعائية أو انتخابية أو غيرها سواء منها المكتوبة أو المرئية أو المسموعة والحوارات في الجرائد والمجلات لا يحبها، وإذا كان لابد منها فإنّه يفضل عندئذ الأسئلة المكتوبة ويجيب عنها كتابة[1].

ولعل المدة الطويلة التي جمعت بين سعد الله بالدكتور محمد العربي معريش والتي دامت ثلاثة وثلاثين سنة جعلته يختبره حتى في أدّق تفاصليه من خلال حرصه الشديد على مناقشة المسائل المكتوبة معرضا على النقاش الشفوي الغير المجدي كما كان يفضل البحث المكتوب لكي يقبل مناقشته وكان يصحح في الطائرة وحتى في المناسبات الدينية لأنّه كان يعتبر طلب العلم عبادة لا تقل عن شعائر التعبد كما عرف باحترامه الشديد لأفكار الطالب وتفسيراته بشرط أن تكون معلّلة وكان حريصا في إيصال المعلومة للطالب وغير متسامح في المستوى والتنقيط ويشهد الدكتور إبراهيم بحاز أنّ سعد الله: « كان باحثا مدققا كان كثير التوقف عند الإشكاليات وبحوثه رصينة ...ويكفى أنّه كتب تاريخ الجزائر الثقافي وشرّف الجزائر بهذا الكتاب ... حتى في الخارج تجده دائما بحقيبته منتفخة وذاك الانتفاخ إما كتب أو بطاقات البحث العلمي ....هو دائمًا وأبداً في البحث العلمي ... مع الطلبة معروف عليه صرامته ودقته في قضية الوقت، والتزام الحضور وعدم الغياب والحرص على مصلحة الطلبة والتفاني في خدمتهم في ناحية البحث العلمي ...» [2] وفرض احترامه حتى خارج الجزائر وهنا يضيف إبراهيم بحاز ويقول: «كان عضو المجلس العلمي لجامعة آل البيت الأساتذة، وكلهم يحترمونه ويبجلونه منهم رئيس جامعة آل البيت الدكتور محمد عدنان البخيت ...يجل الدكتور أبو القاسم سعد الله أكثر من أي أستاذ ويقول لي: أخجل أن أمشي أمامه ولن أمشي أمامه أبدًا وهما في نفس التخصص من التاريخ»[3]

ويضيف محمد العربي معريش: «كان أبو القاسم شديد التحفظ من الملتقيات الجهوية ويفضل عنها الملتقيات الوطنية وحتى الملتقيات الدولية إذا اشتم منها رائحة أنّها تخدم سياسة أو شخصية سياسية ما وإذا اكتشف أنّها ذات أغراض غير علمية كتب عنها وكشف نواياها»[4] ويعدّد الأستاذ مراد وزناجي مناقبه فيقول: فيقول: «من خصاله التواضع وحسن الإصغاء كثير الحركة والارتباطات، ومنضبط المواعيد فصيح اللسان وقليل الكلام ومعروف عليه الصرامة والصراحة والمثابرة والتخلق الشديد، قوي الذاكرة طيب المعشر هادئ الطبع حاضر النكتة كثير التبسم يحب العزلة ويمقت الأضواء الكاشفة» [5] ويقول محمد الأمين بلغيث: «أبو القاسم سعد الله كان سفير الثقافة العربية التي تمثلها الجزائر في المشارق والمغارب إضافة إلى جرأته وعزّة نفسه، كان صاحب مروءة عالية، ويقول كلمته بل كان يكتبها ولا ينظر إلى الخلف أبدًا، أبو القاسم استطاع أن يعيد الاعتبار لعصر ساد فيه الظلم وكانت فيه الحروب الصليبية في العصر الحديث هو العصر العثماني، أبو القاسم

---

[1]- نفسه، ص 306.

[2]- بحاز إبراهيم، **إذاعة القران الكريم**، الاثنين 2014/12/15م.

[3]- نفسه.

[4]- بن خيرة (نجيب)، المرجع السابق، ص306.

[5]-وزناجي (مراد)، المرجع السابق، ص-ص(9-10).

سعد الله توغل في محيط آثم يصعب لمّ أطرافه، وسعد الله كان يملك مشرب جرّاح متميز مخلص حيث استطاع أن يبرز الكثير من القضايا وهو الذي نبّه إلى أهمية الوثائق وأهمية القضاء في العهد العثماني وإلى أهمية الشخصيات المختفية في التاريخ مثل فرحات عباس، ابن جلول أحميدة العمالي، المكي بن باديس ...»[1]، ويقول عنه أيضاً عبد الرزاق قسوم: «عظمته في بساطته وسموه في تواضعه وقوته في صلابته وشموخه في اعتداله...شخصية الدكتور أبو القاسم سعد الله فسيفسائية المعالم جمعت بين العمق في البحث، والمرونة في المعاملة والثبات على المبدأ والقابلية للتأقلم »[2]، وهنا يضيف قسوم: «أن سرّ قوة شخصية أبو القاسم هو أنّه صاحب قضية لا طالب منصب وقد أكسبه هذا محبة الجميع بما فيهم خصومة المختلفين معه إيديولوجيا»[3].

كان يقول كلمته ولا تأخذه في الحق لومة لائم فلا يبالي أين وقعت كلمته ولا أين تتوجه سهام قلمه «أبا القاسم هو علامة تاريخ الجزائر الوطني وعلامة تعميق هذا التاريخ وتمنهجه وتأصله فقد وضع لنا دعائم المدينة التاريخية الوطنية، المنهجية الأداء، العربية اللغة، الجزائرية الانتماء، الإسلامية التوجه»[4]، «سعد الله من المثقفين القلائل الذين عصم الله أقلامهم من الوقوع في فخ الانغلاق الإيديولوجي والاستلاب الديماغوجي والإتباع التعلموجي»[5]، عرفه الدكتور سالم حجار اللبناني بثلاث صفات وراثية: جزائري عربي، مسلم، سنّي مالكي وبناءً على الأرضية البنيوية التاريخية والإنجازات التي حققّها ضمن هذه المنظومة أو التشكيلة المجتمعية التاريخية يمكن القول أنّه أديب بالفطرة ومؤرخ بالجهد والموهبة، وأستاذ جامعي بالحرفة وهذه صفات مكتسبة[6] مكتسبة[6]

السيد بشير خلف رئيس الرابطة الولائية (وادي سوف) للفكر والإبداع يقول أنّ سعد الله عندما كان يأتي إلى مدينة قمار في السبعينات والثمانينات كان لا يضيع وقته مع أحد لا يجلس لا في مقهى ولا يجلس مع جماعة وكان بمجرد وصوله إلى قمار يذهب مباشرة إلى والدته يجلس معها عدة ساعات ثم يتّجه مباشرة إلى الشيخ الطاهر محمد التليلي، وكانا يتعاونان على البحث والتوثيق، وبمجرد وصوله إلى مدينة قمار يتخلص من القميص والقرافتة ويلبس لباس المنطقة قشابية وجبّة ويأخذ قفة في يده ويتّجه إلى الشيخ التليلي وسعد الله يشمئّز من الزيارات الكثير من طرف الأهل والأصحاب الذين يأتون للسلام عليه فهو يستقبل إلّا من يبحث عن العلم أو يطلب وثيقة أو كتاباً، كان محبًا لمنطقة قمار، كان دائم الزيارة لها وساعد الكثير من الطلبة فيها الذين وجدوا صعوبة في التسجيل في الجامعات سنوات السبعينات والثمانينات[7].

---

[1]- بلغيث محمد الأمين، **ضفاف**، القناة الأولى، 2014/12/14م، التاسعة مساء.

[2]- قسوم (عبد الرزاق)، **أعلام ومواقف في ذاكرة الامة: انطباعات جزائرية** ط 1 الجزائر: الدار العثمانية، 2014، ص 218.

[3]- نفسه، ص219.

[4]- نفسه، ص219.

[5]- نفسه، ص 220.

[6]- معيريش موسى، **ضفاف**، القناة الأولى، 2014/12/14م، التاسعة مساءً.

[7]- خلف بشير، **ضفاف**، القناة الأولى، 14/12/ 2014م، التاسعة مساءً.

ويمكن أن نجمل شمائله وخصاله بناءً على ما سبق:

- حبه لعمل الخير والإحسان، حيث تبرع بقطعة أرض ورثها عن والده لبناء "مسجد التوحيد" في حي الشوطاية، وقطعة أرض أخرى لتكون مدرسة قرآنية لمسجد الفرقان بنفس الحي، وفي سنة 1991م حصل على جائزة ابن باديس التي نظمها مركز دراسات المستقبل الإسلامي وهو ثلاثة آلاف دولار تبرع بها لصالح جامعة الأمير عبد القادر لتنمية مكتبتها[1].
- كان بسيطًا ولا يحب البروتوكولات فقد أراد أعيان ومسؤولي قمار أثناء وفاته أن يخصُ الفقيد بتأبينية تليق بمقامه في المركز الثقافي ليلقي عليه المعزون النظرة الأخيرة، لكن أحمد بن أبو القاسم سعد الله رفض تنفيذا لوصية والده في أن تكون مراسم الدفن عادية وبسيطة كأي شخص عادي في مقبرة قمار.
- كان قويا وصلبا في الدفاع عن تاريخ الجزائر وهويتها وكان هاجسه هو الوطنية الملتزمة بثوابت الوطن لم يكن همه سوى الجزائر والفكر والابتعاد عن المشادّات السياسية.
- ساهم كثيرًا في التعريف بتاريخ منطقة واد سوف خاصة والإنسان الصحراوي بصفة عامة وحتى في الأردن كان يلقي محاضرات على منطقة واد سوف .
- لولا البيئة التي عاش فيها أبو القاسم سعد الله التي منحته الحصانة الدينية والخلق الرفيع لتزعزعت معتقداته أثناء تكوينه بالجامعة الأمريكية .
- كان ابناً بارًا فلم ينقطع عن زيارات أمه كلما سنحت له الفرصة، رغم بعد المسافة ومشاق السفر والمرض، فكان يتحين الفرص والمناسبات لزيارتها وتفقدها ويأخذ معه ابنه أحمد ليتعود على حياة الصحراء .
- عزيز النفس زاهد في المال قانع لا يشكو لأحد .
- كثير الحركة والسفر رغم الصعوبات والعوائق من أجل البحث العلمي، طموح لا يقتنع بما حقق ويطلب المزيد.
- عدم جريه وراء المسؤوليات فقد عرضت عليه العديد من المناصب فكان دائمًا يرفضها ومنها في سنة 1952م كلّفه الشهيد العربي التبسي بأن يكون رئيسا للبعثة الزيتونية لجمعية العلماء فرفض ذلك مرارًا وبعد إصرار العربي التبسي قبل ذلك مؤقتًا إلى أن يعينوا غيره [2]، وفي سنة 1982م عرضت عليه وظيفة مدير جامعة الجزائر فاعتذر وتحجّج بالمرض[3]، وفي نفس السنة عرضت عليه وظيفة في الرئاسة وهي قراءة التقارير الواردة حول القضايا الثقافية وإعطاء توجيهات بشأنها ومتابعة قرارات السلطة فرفض[4]، وفي سنة 1989م طلب منه السيد قاصدي مرباح أن يكون كاتب دولة للثقافة وكعادته كان أبو القاسم يتحجج بالظروف الصحية وفي ذلك يقول: «... كنت مقرراً من قبل أن لا أقبل أي منصب سياسي والتمسك دائمًا بحيادي والمساهمة في

[1]- مسار قلم، ج5، المصدر السابق، ص248.

[2]- وزناجي (مراد)، المرجع السابق، ص 34 .

[3]- مسار قلم، ج 5، المصدر السابق، ص 30 .

[4]- نفسه، ص 42 .

خدمة الوطن عن طريق البحث والثقافة...»[1]، وتوالت عليه عروض العمل ففي سنة 1990م، عرض عليه أن يكون عضوًا في المجلس الأعلى للثقافة ومنصب إدارة المركز الوطني للدراسات التاريخية ووزيراً للثقافة في عهد حكومة السيد أحمد غزالي[2]، كما عرض عليه أن يكون عضوًا في جمعية تعمل على النهضة الحضارية العربية الإسلامية في الأندلس لبعث التراث المسيحي الإسلامي المشترك في غرب البحر الأبيض متمثلا في الأندلس، لكن أبو القاسم رفض لأنّه كان يرى أنّ هذا مخطط لاحتواء المشروع الحضاري العربي الإسلامي المعاصر وتوجيهه في المنطقة[3]، وطلب منه أيضاً المشاركة في معجم البابطين للشعراء العرب وكعادته رفض لأنّه يرى في الموضوع ظلالاً سياسية من حرب الخليج[4]، «لقد اعتذرت عن قبول مناصب وزارية وسياسة قبل وبعد 1982م، وهذا راجع لقناعتي بقوله e : ﴿كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ﴾[5] وأعتقد أنّ الله يسَّر لي العلم والبحث وطلب الحقيقة»[6]

ويضيف أبو القاسم عن رفضه للمناصب يقول « أنّ شعار والدي رحمه الله أنّ (اليوم السعيد هو الذي تصبح فيه لا طالباً ولا مطلوبًا)، بالإضافة إلى الخوف من المسؤولية وحب التفرغ للبحث والكتابة وتأثير ما قرأته من مواقف بعض العلماء من السلاطين، حتى أنّ بعضهم كان يقول: (كُولْ التَّرَابْ ولاَ تَقْبَلْ لُهُمْ عَملاً)»[7] وفي بعض الأحيان كان يلوم نفسه بعدم توليه المناصب «ومع ذلك فأنّني أشعر داخليا أحيانا بأنّه كان عليّ أن أساهم أيضاً في المجال العملي والسياسي أي أنّ أفكاري في ميدان الثقافة والعروبة والإسلام يجب أن أضعها على المحك وأن أبرزها وأجسمها في الواقع كمسؤول عنها ولا أبقى ملاحظاً أو ناقدًا فقط»[8] .

- كان متعلقا بمسقط رأسه قمار والكثير من مؤلفاته تؤكد ذلك وكان كل ما يريد الراحة يذهب لها والدليل على ذلك أنّه طلب أن يدفن فيها .

---

[1]- نفسه، ص 115 .

[2]- نفسه، ص 261 .

[3]-مسار قلم،ج5، المصدر السابق، ص-ص (339-340) .

[4]- نفسه، ص 353 .

[5] - عن أبي بكر الصديق t : قال الإمام أحمد: حدثنا علي بن عياش، حدثني العطاف بن خالد، حدثني رجل من أهل البصرة، عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، عن أبيه قال: سمعت أبي يذكر أن أباه سمع أبا بكر وهو يقول : قلت لرسول الله e : يا رسول الله ، أنعمل على ما فرغ منه أو على أمر مؤتنف ؟ قال: ﴿بل على أمر قد فرغ منه﴾ قال : ففيم العمل يا رسول الله ؟ قال : ﴿كل ميسر لما خلق له﴾، وفي رواية علي t : قال البخاري، حدثنا أبو نعيم: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي بن أبي طالب قال: كنا مع رسول الله e في بقيع الغرقد في جنازة، فقال: ﴿ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار﴾، فقالوا : يا رسول الله ، أفلا نتكل؟ فقال: ﴿اعملوا ، فكل ميسر لما خلق له﴾ قال: ثم قرأ : ﴿فأمَّا منْ أعطى واتَّقَى وصدَّق بالحسنى فسنيسره لليسرى﴾ - إلى قوله عز وجل: ﴿للعسرى﴾. والحديث أخرجه ابن ماجه 2142 بإسناده، وأخرجه الحاكم 2/3من طريق ربيعة ابن أبي عبد الرحمن عن عبد الملك بن سعيد به إلا أنه قال: لما كتب له منها وهو أصح وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

[6]- حوارات، المصدر السابق، ص 144 .

[7]- وزناجي (مراد)، المرجع السابق، ص 121 .

[8]- مسار قلم، ج 5، المصدر السابق، ص 115 .

- شخصية مؤثرة بدليل أنه بني صداقات متينة في دول أجنبية وفرض نفسه حتى في مجتمعات لا تمت للدين الإسلامي بصلة وعرف كيف يتواصل ويؤثر ويتأثر.
- وما لمحناه من خلال اطلاعنا على كتاب مسار قلم جعلنا نعيش الأحداث بكل حيثياتها فهو يقربك منها وكأنّك فعلاً في موقع الحدث ومن دون أن نشعر بالملل كون شخصيته تتمتع بروح الدعابة والنكتة بعكس ما قيل عنه أنه رجل متشدد وصارم ولعل إتّباعه لهذا الأسلوب لكي يرفه على القارئ وتزداد معرفته بالأحداث ويتشوق لها لحظة بلحظة.

ث. **وفاته:** توفي شيخ المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله عن عمر ناهز 83 سنة بالمستشفى العسكري في عين النعجة بالعاصمة يوم السبت 14 ديسمبر 2013م، بعد صراع مع المرض كما رفض نقله إلى فرنسا للعلاج وفضّل البقاء في الجزائر، وقبل أن يشتّد به المرض مباشرة بعد عيد الفطر رفض أبو القاسم سعد الله أن يتنازل عن صيام رمضان رغم تحذيرات طبيبه الخاص، حيث أتّم صيام الشهر الفضيل إلى غاية 26 منه حيث أصابته وعكة صحية لينتقل إلى مستشفى عين النعجة بالعاصمة وتوفي هناك، فنزل خبر وفاته على قرية قمار مسقط رأسه كالصاعقة وخيّم حزن عميق لدى سكان ولاية الوادي كلها[1] وبموته فقدت الجزائر مشعلاً ينير تاريخها وسقط ركن ركين في تاريخ الجزائر وأعلم شخص بثقافتها وأكثر من كتب عنها وعاش حياته كلها في خدمة الجزائر وتاريخها وثقافتها .

وكانت ردود الفعل على وفاته متعددة وكثيرة، فبمجرد وصول خبر وفاته إلى قاعات تحرير وسائل الإعلام الجزائرية والعالمية حتى تناقل الناس المعلومة بحسرة كبيرة وألم شديد وراحوا يعدّدون مناقبه ويسردون إنجازاته ليس في حقول العلم فحسب بل حتى في ميادين الأخلاق والتميز والإصرار على تحقيق المراد «فتأكدت[يقول رفيقه مراد وزناجي] أنّ العظماء لا يموتون والكبار لا يغادرون ... لقد شعرت يومها وكأنّ الرجل يبعث من جديد بشكل بهي لا يضاهيه أي شكل آخر، والأجمل في ذلك هو إحساس الناس بمختلف مستوياتهم ومشاربهم وتوجهاتهم وشرائحهم العمرية بمبادئ المرحوم وإخلاصه لدينه ووطنه وعلمه، وذلك هو الانبعاث الحقيقي»[2] وتوالت بعد وفاته الإشادة بخصاله وتعدّدت الألقاب التي لقب بها ومن أمثلة ذلك: (مؤرخ (مؤرخ الجزائر بلا منازع ومعلّي رايتها بين الأمم، أبو القاسم سعد الله مفخرة الجزائر في هذا العصر، سعد الله في مقام مانديلا، صائد جواهر التاريخ الوطني في أرجاء المعمورة، سعد الله صوفي في محراب التاريخ، لا سلطان لهذا الرجل غير سلطان العلم والمعرفة، موسوعة فكرية منفتحة على المنهجية والواقعية، الرجل الذي تبكيه الكتب، أبو الثقافة الجزائرية المعاصرة، أحد أعلام الإصلاح الاجتماعي، جامع العلم والوقار، العالم الزاهد الذي انحاز للمثقفين المهمشين، آخر الموسوعيين الكبار، فارس العلم والقلم، هيرودوت الجزائر...) فرحم الله فقيد الجزائر والأمة وأكرمه وأعلي مقامه.

[1]-قسوم عبد الرزاق، " موسوعة فكرية منفتحة على المنهجية الواقعية"، المرجع السابق، ص21.

[2]- نفسه، ص21.

3. تعلمه وشهاداته

أ. **مراحل التعلم والتكوين:** بعد خمس سنوات تقريبًا على ميلاده «دخل الفتى بلقاسم الجامع القبلي في البدوع وهو تقليد قديم عند أهل قمار يقتضي بأن يدخل الولد الجامع حتى يحفظ شيئاً من القرآن الكريم قبل أن يحتاجه أهله في الحياة العملية حتى يستقيم لسانه ويشرب حب القرآن في قلبه»[1]، حفظ القرآن على يدي عدة مشائخ بواد سوف أمثال الشيخ أبو القاسم بن البرية أو الشيخ الزيبري، فتقدم في حفظ القرآن وكرّره ثلاث مرات إلى أن أصبح ينوب على شيخه في صلاة التراويح وبقي على هذا الحال سنتين ثم بدأ يستعد للذهاب إلى تونس لمواصلة دراسته إلا أنّ «المادة لم تتوفر للوالد فنصحه الخبراء بحفظ المتون الأساسية قبل الالتحاق بالزيتونة»[2] وبالفعل التحق بجامع الزيتونة ومكث هناك مابين 1947م و1954م وتحصل على شهادة الأهلية سنة 1951م وشهادة التحصيل سنة 1954م «وهي تعادل الثانوية حسب النظام التونسي في ذلك الوقت»[3]، أبو القاسم عاش في تونس سبع سنوات سكن ست سنوات في غرفة قيّم الجامع الحاج محمد مامه الياجوري بجامع القصر وسنة بمدرسة صاحب الطابع بالحلفاوي[4]، ويتحدث أبو القاسم عن الاتجاهات الثلاث التي أثّرت في حياته خلال هذه المرحلة بالقول:

الاتجاه الأول وهو التربية الدينية والأخلاقية التي تلقيتها بالزيتونة

الاتجاه الثاني وهو التربية الوطنية التي اكتسبتها عن طريق مشاركتي في نشاط جمعية الطلبة الجزائريين منذ 1948م، وعن طريق اشتراكي سنة 1953م مع الطلبة الجزائريين في تمثيل رواية "الخليفة العادل" في عدة مدن بالجزائر، وعن طريق قراءتي لجريدة"البصائر" منذ سنة 1948م .

الاتجاه الثالث وهو التربية الأدبية التي حصلت عليها بفضل مطالعاتي لإنتاج الشرق العربي وخصوصًا قراءتي "للرسالة " "وأبوللو" و"الآداب البيروتية"[5] .

وبعد حصوله على شهادة التحصيل في العلوم التي تؤهله لدخول الجامعة أصبح شغله الشاغل الالتحاق بالمشرق العربي للمواصلة دراسته و«لكن فقدان الوسائل المادية حال دون ذلك في حينه لذلك تقدم من تونس بطلب منحة من جمعية العلماء التي كانت قد فتحت مجالاً لما أسمته "البعثات" إلى "المشرق»[6] بإشراف الشيخ الإبراهيمي الذي تولى تسهيل مهمة الحصول على منح من بعض الدول العربية والإسلامية لصالح الطلبة

---

[1]- وزناجي، المرجع السابق، ص 28.

[2]- وزناجي،المرجع السابق، ص 29 .

[3]- نفسه ص 31 .

[4]- مسار قلم، ج5، المصدر السابق، ص 343 .

[5]- سعد الله (أبو القاسم)، **منطلقات فكرية**، الجزائر: عالم المعرفة، 2011، ص 45 .

[6]- وزناجي، المرجع السابق، ص 41.

الجزائريين، ليدرسوا ثم يعودوا إلى الجزائر، لكن لسوء الحظ لم يقبل طلب سعد الله المتمثل في الحصول على منحة تؤهله للالتحاق بالجامعة ضمن هذه البعثات لكونه لم يكن طالباً في معهد ابن باديس «فسافر في نفس السنة التي افتتح فيها المعهد»[1] وجاء إلى الجزائر وكان لا يعرفها، وعُين مدرسًا مؤقتًا في مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالعاصمة ودرّس بمدرسة الثّبات بالحرّاش ومدرسة التهذيب العربية بالعين الباردة «فدرّس هناك تلاميذ صغار في السن، كما كان يلقي أحياناً دروسًا مسائية على الكبار في التاريخ الإسلامي بالمدرسة الجديدة »[2] وقدّم بالإضافة إلى ذلك نوعًا أخر من الدروس لعامة النّاس وتمثلت هذه الدروس في مسائل فقهية وموضوعات دينية وأخلاقية وبعد توفيره لتكاليف السّفر «فكان لزاما عليه وهو مسلح بعزيمة الشباب من اقتحام قاهرة المعز وشعاره "لابد من مصر وان طال السفر" فشدَّ الرجال إلى مصر بوسائله ونزل بالقاهرة فتوجه إلى مركز جمعية العلماء فدّق الباب ووجد نفسه وجهًا لوجه مع الشيخ الإبراهيمي الذي لم يكن يعرفه سوى بالاسم والصورة عبر "البصائر" التي كان سعد الله أحد الكتّاب فيها، ونزل ضيفاً عند الشيخ الإبراهيمي ولكن الضيافة أصبحت شبه إقامة دائمة، واعترف سعد الله بأنه كان كضيف ثقيل وكان ينام في الصالون ويتناول الفول مع الشيخ الإبراهيمي»[3] .

وفي مصر التحق بدار العلوم بجامعة القاهرة سنة 1955م وتحصل منها سنة 1959م على شهادة ليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية وعن الاتجاهات التي أثرت فيه أثناء دراسته في مصر يقول: « وفي القاهرة تبلورت في نفسي عاطفتان: أولهما الوطنية السياسية، فالجزائر لم تعد في نظري هي الأسرة والقرية والحدود الجغرافية ونحو ذلك ولكن أصبحت تعني عندي كلّ أهل القطر الجزائري بقطع النظر عن جهاتهم وأحزابهم واتجاهاتهم وبالتالي بدأت أفهم حقيقة الثورة الجزائرية وأهدافها وعلى هذا الأساس تطوّعت في جيش التحرير الوطني الجزائري كعضو وكمسؤول ..واشتغلت في مصالح جبهة التحرير الوطني »[4]، «أما العاطفة الثانية التي تبلورت في نفسي خلال وجودي بالقاهرة فهي القومية العربية ... كما تعرفت على آمال وآلام الطلبة الفلسطينيين الذي كان لي شرف تمثيل الجزائر في مؤتمرهم التأسيسي»[5] وبعد حصوله على شهادة الليسانس تقدم إلى وزارة الثقافة الجزائرية بثلاث مطالب في نفس الوقت أحدهما التعليم في إحدى البلاد العربية، وثانيها الدراسة في إحدى البلدان الأجنبية وثالثها مواصلة الدراسة في مرحلة الماجستير بالقاهرة ولكنّه قرّر أن يرفض التعليم، كما أعلمه الإتحاد الطلابي من سويسرا بأنّ مطلبه للمنحة غير مقبول بحجة أن شهادته الجامعية لا

---

[1] - نفسه، ص41 .

[2] - نفسه، ص 47.

[3] - يزبان سعدي، " **في رحاب الفكر** والتاريخ: **رحلة** فكرية **وأدبية في حياة شيخ المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله** " مجلة البصائر، ع: 437،29مارس-04 أفريل2009، ص 18.

[4] - منطلقات فكرية، المصدر السابق، ص 48.

[5] - نفسه، ص-ص (48-49) .

تؤهله للدراسة في الخارج، وهكذا لم يبق أمامه سوى الحل الثالث[1] فسجّل في مكانين مختلفين لمواصلة الدراسة في الماجستير الأول هو كلية دار العلوم نفسها تخصص أدب فأنهى الدبلوم في صائفة سنة 1960م، وكان على استعداد للمناقشة إلّا أنّ القانون لا يسمح بمناقشة المذكرة في السنة الأولى من الدراسة، فكتب المذكرة وكانت حول شعر محمد العيد آل خليفة، لكن بعد حصوله على المنحة الأمريكية ترك المذكرة مخطوطة عند الشيخ الإبراهيمي في القاهرة، هذا الأخير كان معجبًا بشعر محمد العيد فقام بطبعها في " دار المعارف" وكتب له التصدير، وذلك بطلب من سعد الله [2] أما الجهة الثانية التي سجل فيها الماجستير فهي معهد العلوم والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية، شعبة الأدب والنقد، وكان من بين المحاضرين في هذا التخصص سهيل إدريس، وإسحاق موسى الحسيني، وسلمى الذهان، ويحي حقي وجودة السحار وغيرهم فأكمل السنة الأولى أيضاً إلّا أنّه لم يواصل الامتحان بسبب المنحة، ورغم العراقيل التي واجهها أثناء طلبه المنحة إلى الولايات المتحدة حصل في الأخير على مراده وسافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية والتحق هناك بجامعة مانيسوتا وسجّل بقسم التاريخ في سنة 1960م ليتحصل بعد خمس سنوات على شهادة دكتوراه دولة في التاريخ والحضارة الغربية وحضارة الشرق الأوسط بأطروحة عنوانها: (الحركة الوطنية الجزائرية "1830-1954"م) وبعدها درّس بجامعة أوكلير، كما كان عضوًا بعدة منظمات علمية منها الطلبة العرب وجمعية الطلبة الأفارقة

وعن تعلمه اللغة الانجليزية يقول سعد الله: « و لم يكن ما تعلمته من الإنكليزية ليكفيني للاتصال المباشر السريع مع الشعب الأمريكي...وهناك عاملان دفعاني إلى مواجهة الصعوبات بتحد كبير: الأول هو أنّ الجزائر كانت في ثورة حياة أو موت، وقد كنت أعتقد بحرارة أنّ أقل ما يمكن أن أخدم به الوطن في تلك اللّحظات العصيبة هو أن أنجح في مشروعي، والثاني هو أنّ مطلبي الأول للمنحة في الخارج كان قد رفض على أساس أنّني لا أملك مؤهلات جامعية .. ورغم أنّ المسؤولين الأمريكان قد منحوني فترة ستة أشهر لتعلم اللغة، فإنّني بعد ثلاثة أشهر ونصف فقط طلبت منهم البدء في الدراسة النظامية بالجامعة، وفي ربيع 1961م سجلت في جامعة منيسوتا بقسم التاريخ وبدأت أعمل تحت إشراف الدكتور هارولد سيد وتش...قضيت في هذه الجامعة حوالي خمس سنوات حصلت خلالها على شهادة الدكتوراه في نفس المواد سنة 1965م، وقد اقتضى حصولي على الشهادة الأخيرة وتخصصي في التاريخ الأوربي أن أتقن قراءة كل من الفرنسية والألمانية»[3].

ب. **شيوخه وأساتذته:** من الشيوخ الأوائل الذين درس أبو القاسم سعد الله على أيديهم: **الشيخ أبو القاسم بن البرية أو الشيخ الزبيري:** أحد معلمي القرآن الكريم بواد سوف حفظ على يده القرآن وكان ينوب عليه في صلاة التراويح[4]، كان بعض الشيوخ مجرد معلمين ناقلين للمعارف وآخرون يكونون الشباب

[1]- نفسه، ص 49.

[2]- وزناجي، المرجع السابق، ص-ص(92-93).

[3]- منطلقات فكرية، المصدر السابق، ص 50.

[4]- وزناجي، المرجع السابق، ص 28 .

تكويناً هادفًا مثل: **الصادق بسيس، محمد العنابي، والمختار الوزير ...**[1] وكان أحب الشيوخ لأبي القاسم سعد الله هو **الشيخ علي الأصرم** والشيخ **مصطفى المؤدب** أما عن أساتذته في معهد البحوث والدراسات العربية شعبة الأدب والنقد كانوا أساتذة زائرين يدرّسون اختصاصاتهم في النقد الأدبي، والمسرح والرواية وهم: **سهيل إدريس، إسحاق مرسي الحسيني وسامي الدهان، ويحي حقي...**[2] **ومحمد غنيمي هلال** أستاذ أبو القاسم في مادة النقد الأدبي عندما كان يدرس بكلية دار العلوم بالقاهرة [3]، **وكمال بشر** الذي درس عليه النحو واللغة في كلية دار العلوم خلال الخمسينات وأصبح فيما بعد أمينًا لمجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 2001م[4]، و**الشيخ محمد الطاهر التليلي** الذي «كانت جلساته التي تستنفذ ما تبقى من ساعات النهار»[5].

وفي الولايات المتحدة الأمريكية كان له أساتذة كثر لعل أشهرهم: **الآنسة هولبروك** التي لجأ إليها فيما يتعلق بدراسته قبل الجامعة وهي المشرفة على برنامجه[6]، **وهارولد سيد وتش** أستاذه ومرشده أثناء دراسته في أمريكا وكان حينها رئيسًا لقسم التاريخ وأستاذ التاريخ الأوربي الحديث[7].

ت. **إجازاته وشهاداته:** في حياته كلها منح العديد من الأوسمة وحظي بالعديد من التشريفات تقديرًا لمجهوداته الجبّارة ومواقفه الكبيرة منها: جائزة الإمام بن باديس من قبل مركز دراسات المستقبل الإسلامي الموجودة في لندن 1991م المقدرة بثلاثة ألاف دولار[8]، ومنح وسام المقاوم على المساهمة النشطة في الثورة الجزائرية في الجزائر سنة 1984م، كما كرّمه رئيس الجمهورية بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرون لاستقلال سنة 1987م، وكرّمه أدباء وهران في ربيع 1987م، وكرّمته نخبة من الأساتذة والأدباء بمناسبة صدور الطبعة الأولى من كتاب "الحركة الوطنية الجزائرية"في مدرج جامعة الجزائر في 04 جويلية 1969[9]، كان ضيف شرف ندوة توزيع جوائز الدولة التقديرية السعودية الرياض 1984م، والرئيس الشرفي لإتحاد الكتّاب الجزائريين منذ 1989م، وضيف شرف في احتفال الجنادرية الثقافي (السعودية) سنة 1992م، كما حصل على منحة فولبرايت في 1993م للمرة الثانية (الأولى كانت في عام 1977م)، وحصوله على منحة من المعهد الدولي للتربية والتعليم IIE [10].

---

[1]- نفسه، ص 40 .

[2]- نفسه، ص 93 .

[3]- مسار قلم، ج 3، المصدر السابق، ص 150.

[4]- سعد الله(أبو القاسم)، **مسار قلم**، ج7، الجزائر:عالم المعرفة، 2015، ص 141.

[5]- خلف بشير، **"من وحي الذكرى تقديرا ووفاء لروح الدكتور أبو القاسم سعد الله (25 جانفي 2014)** "،من وحي الذاكرة الدكتور الراحل أبو القاسم سعد الله، سوف مطبعة الرمال، ص125.

[6]- مسار قلم، ج 3، المصدر السابق، ص 15.

[7]- منطلقات فكرية، المصدر السابق، ص 50.

[8]- مسار قلم، ج 5، المصدر السابق، ص247.

[9]- نور (عبد القادر)، **شاهد على الحركة الطلابية اثناء الثروة الجزائرية (1954-1962)**، الجزائر: دار الخلدونية، 2011، ص 167 .

[10]- مسار قلم، ج6، المصدر السابق، ص09 .

ومن الشهادات التي حازها في كل مراحل تكونه العلمي والأكاديمي وهي كثيرة أنه حصل عن طريق الدراسة الحرّة والمراسلة على دبلوم صحافة سنة 1957م[1]، وتحصله على شهادة الليسانس التي لم يأخذ نسختها نسختها إلى حين جويلية 1966م بمصر[2] وبعد خمس سنوات من الكدّ والاجتهاد تحصّل على شهادة دكتوراه دولة في التاريخ والحضارة الغربية وحضارة الشرق الأوسط سنة 1965م، وحصل من جامعة منيسوتا على شهادة في التاريخ والعلوم السياسية سنة 1962م[3] وإضافة إلى اللغة العربية فهو يتقن اللغة الفرنسية والإنجليزية ودارس للفارسية والألمانية.

وفي رده على معظم التّشريفات التي حصل عليها خصوصا من طرف دراسات المستقبل الإسلامي كأول فائز من المغرب العربي بجائزة عبد الحميد بن باديس قائلاً: «منحي الجائزة جعلني أشعر بمسؤولية أثقل نحو الثقافة العربية الإسلامية فأنا في الواقع لم أقدم لها ما كنت أطمح إليه وما قدمته هو جزء ضئيل ممّا يجب على نحوها»[4]، ويضيف قائلاً: «إذا كان للمثقف أن ينتظر في مرحلة متقدمة من حياته تنويع مسيرته باعتراف وطني وطني أو دولي فإنّه لا يجوز أن ينتظر الجوائز لكي ينتج أو يزيد في الإنتاج، والجائزة كما تكون حافزة قد تكون قاتلة لروح الإنتاج والإبداع»[5].

[1]- منطلقات فكرية، المصدر السابق، ص 49 .
[2]- مسار قلم، ج 3، المصدر السابق، ص 48 .
[3]- منطلقات فكرية، المصدر السابق، ص 50 .
[4]- حوارات، المصدر السابق، ص 139 .
[5]- نفسه، ص 140 .

الفصل الثاني

النشاط الطلابي والعلمي

لأبو القاسم سعد الله

- نشاطه الطلابي والوطني
- نشاطه العلمي والصحفي
- نشاطه التدريسي والتربوي
- قضايا ومواقف وآراء في السياسة والثقافة

1. نشاطه الطلابي والوطني

أ. **نشاطه في تونس(جامع الزيتونة):** يعتبر سعد الله من الطلبة الجزائريين الذين ساهموا في تنشيط الحركة الطلابية بتونس، ذلك أنّ سفره إلى تونس واحتكاكه بالطلبة الجزائريين مثّل له بداية الوعي السياسي والخروج من القوقعة المحلية التي فرضها النظام العسكري الاستعماري على المنطقة[1] فأثناء إقامته بتونس كان معتمداً من جمعية العلماء في تونس لإدارة جمعية البعثة الزيتونية[2]، خلال الفترة (1952- 1954م)، والمعروف عنه خلال هذه المرحلة من حياته أنه كان من المواظبين على النشر في جريدة «البصائر» وله عمود دوري بالجريدة ينشر فيه مختلف أنشطة جمعية البعثة في تونس إضافةً إلى إسهامات نثرية وشعرية عديدة، فقد طرق مواضيع متنوعة كالحديث عن التاريخ والوطنية والحرية والاستقلال (أمة المجد في الميدان)[3]، والمعروف عنه أنه نشر أيضاً في صحف تونسية عدة كالمعارف والأسبوع[4]، ومن باب تحسين مستواه اللغوي حاول أيضا في هذه المرحلة تعلّم اللغة الفرنسية بعد حصوله على الأهلية، وذلك بمقر الآباء البيض، فحضر الدروس عدة مرات، ثم توقف عن الحضور بسبب: «شعوره بأنه مضحي بدراسته العادية، [أو بسبب] الخوف من تأثير التبشير[عليه] »[5]، وخلال سنة 1953م قام سعد الله مع رفاقه من طلبة الجمعية بتمثيل رواية الخليفة العادل في عدة مدن جزائرية[6]، وكان عضو مؤسس في "رابطة القلم الجديد" التي كانت تجمع بين أدباء تونسيين وجزائريين[7]، من تونس أمثال "الشاذلي زوكار"، والشاعر "منور صمادح"، ومن الأدباء الجزائريين "جنيدي خليفة"، و"محمد علي كرام"، كانت هذه الرابطة تطمح إلى التجديد في الأدب، ورغم أنّهم زيتونيون إلا أنهم كانوا ينعتون بالمحافظين[8]...ويمكن القول أن الفترة التي مكثها "سعد الله" بتونس سمحت له بتوسيع مداركه العلمية وإبراز طاقاته ومواهبه خاصة في مجال الأدب، وجعلته يستوعب ما كان يدور في وطنه الجزائر من خلال احتكاكه مع الطلبة الجزائريين، مما بثّ فيه روح الالتحام والمسؤولية اتجاه شعبه الذي كان يئن تحت وطأة المستعمر.

ب. **نشاطه في القاهرة(كلية الآداب):** رغم الحرمان وشظف العيش في القاهرة، فقد كان الأستاذ سعد الله يرى أنّ سنوات القاهرة الخمس كانت من أغنى وأجمل أيام عمره[9]، فإلى جانب دراسته كان يقوم بعدة أنشطة طلابية، ساهمت بالتعريف بقضايا وطنه الثقافية والسياسية والتي نذكر منها مساهمته في تصحيح الصورة الخاطئة لدى مثقفي المشرق العربي من أن الجزائريين انقطعوا عن اللغة العربية، وأصبحوا يتكلمون ويكتبون

---

[1]- وزناجي(مراد)، المرجع السابق، ص 39.

[2]- مسار قلم، ج1، المصدر السابق، ص 11.

[3]- وزناجي، المرجع نفسه، ص- ص(34-35).

[4]- نفسه، ص- ص (36-37).

[5]- نفسه، ص- ص(39- 40).

[6]- سعد الله (أبو القاسم)، منطلقات فكرية، المصدر السابق، ص 45.

[7]- وزناجي، المرجع نفسه، ص 34.

[8]- نفسه، ص 79.

[9]- مسار قلم ج1، المصدر السابق، ص 08.

بالفرنسية، من خلال تأليفه كتاب" دراسات في الأدب الجزائري" و"شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة"[1]، فإلى فإلى جانب نجاحه في كل عام، فقد نذر نفسه للتعريف بالفكر الوطني والنضال الثقافي للشعب الجزائري حيث نشر الكثير من الأبحاث عن الأدب الجزائري ورجاله في الدوريات العربية[2] وكانت له أنشطة متنوعة في رابطة الأدب الحديث، ونادي كلية دار العلوم، ونادي طلبة الكويت[3]، وساهم أيضاً في عدد من الأنشطة الطلابية خلال مرحلة الثورة «...كأسبوع جمع التبرعات للثورة الجزائرية، وأسبوع الجامعات بالإسكندرية، والمقاومة الشعبية أثناء العدوان الثلاثي...وتنظيم مكتبة الحكومة المؤقتة ونشر المقالات والقصائد...»[4]، وتأسيس رابطة الطلبة الجزائريين في مصر سنة 1959م[5] ، فكان بنضاله المستميت سندًا وعوناً للثورة الجزائرية في مصر والمشرق عموماً[6]، ومع كل هذا النشاط المكثف وعلى«الرغم من الظروف المادية القاسية...التي عاشها الطلاب الطلاب في المشرق، والتي جعلتهم يواجهون في كل مواقف حياتهم الدراسية صعابًا قاسية مؤلمة...»[7] إلا أن مترجمنا كان مقبلاً على الحياة العلمية بكل ثبات من ذلك أنه حاز على دبلوم في الصحافة في 04 فيفري 1957م[8]، كما أخذ يهتّم بتعلم اللغات كالفرنسية والانجليزية والفارسية ومبادئ الاسبانية[9]،

وفي جوان 1959م أصبح عضوًا رسميًا في اتحاد الطلبة الجزائريين بالقاهرة فقد كان مسؤولاً على الشؤون الثقافية وهذه المهمة أتاحت له الفرصة في لقاء العديد من القيادات الجزائرية أمثال فرحات عباس، وبن يوسف بن خده، وكريم بلقاسم وغيرهم[10]، والراجح أنه كان يود الانخراط في صفوف الثورة المسلحة بل واقترح نفسه لمثل القيادة العسكرية للثورة في الخارج العقيد أبو عمران، إلا أن قيادة الخارج آثرت تركه[11] يواصل دراسته[12] خدمةً لأجيال الجزائر المستقلة، ومما لاشك فيه أن إحساسه العميق بروح المسؤولية، والوطنية ترجمه على أرض الواقع، سواء من خلال كتاباته عبر الصحف أو من خلال نشاطاته التي كان يقوم بها لصالح الثورة المباركة من دعم ومساندة، وما لعبه من دور في لم شمل الطلبة الجزائريين.

---

[1]- سعد الله (أبو القاسم)، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج5، الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع، 2007، ص 159.

[2]- منطلقات فكرية، المصدر السابق، ص- ص(48- 49).

[3]- وزناجي(مراد)، المرجع السابق، ص 66.

[4]- مسار قلم، ج1، المصدر السابق، ص 10.

[5]- ولقد استمر نشاط هذه الرابطة حثيثًا فيما بين (1956- 1959م) حتى أدمجت في سنة 1959م رسميًا في الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين.

[6]- هلال(عمار)،**نشاط الطلبة الجزائريين إبان حرب التحرير 1954م**،ط2،الجزائر:دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،2008، ص- ص(72- 73).

[7]- **نفسه**، ص 68.

[8]- سعد الله (أبو القاسم)، **مسار قلم** ،ج2، الجزائر :عالم المعرفة، 2011، ص37 .

[9]- أفكار جامحة، المصدر السابق، ص 179.

[10]- وزناجي(مراد)، المرجع السابق، ص 63.

[11]- ربما لأنه كان ينجح كل سنة، وربما لأن يده كانت معطوبة آنذاك بسبب سقوطه في بئر عشية ذهابه للزيتونة.

[12]- نفسه، ص 65.

ت. **نشاطه في أمريكا(جامعة منيسوتا):** على الرغم من سفره إلى بلد أجنبي، فإن الشعور لديه بالانتماء إلى وطنه الجريح وثورته المجيدة لم يفتر، بل ترجمه إلى نشاط دؤوب من أجل التعريف بالثورة الجزائرية، وأهدافها في أوساط الأمريكيين، خاصة الطبقة المثقفة بالتعاون مع الطلبة العرب والأفارقة فمنذ وصوله انظّم إلى فرع الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، وإلى منظمة الطلبة العرب بأمريكا وكندا، وإلى جمعية الطلبة الأفارقة بمنيسوتا، التي كان من مؤسسيها ثم تولّى رئاستها، كما قام بتمثيل فرع الاتحاد العام في عدة مناسبات وطنية وعالمية ومن بينها الندوة العالمية للطلاب التي انعقدت "بنيوهمشير "سنة 1962م[1]، وقام سعد الله بمساهمة في بعث اشتراك رمزي تمثل في إحدى عشر دولار كمساهمة منه في نشاط فرع الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، الواقع بالقاهرة[2]، ومن أهم أدواره الثورية في الولايات المتحدة الأمريكية هو مشاركته في الإحتفال العالمي المعروف بالأمريكان سنتر الذي يضم عدد من البلدان وحبه لوطنه ترجمه في إصراره على تمثيل بلده بالأنشودة الوطنية المعروفة لدى طلبة الزيتونة أيام التتلمذ"جزائرنا" لأن جميع البلدان غنّت أناشيدها الوطنية، ورغم محاولات حذفه من البرنامج إلا أنه أصرّ على الاشتراك[3]، كما شارك أيضاً في ندوة حول الجزائر في كلية كلية سان كاترين بتاريخ 28 مارس 1961م[4]، وكان من الحاضرين والمناقشين في ندوة نشطها نخبة من مثقفي أمريكا بعنوان" الأمريكان وراء البحار"[5].

وأثناء إقامته بأمريكا اتصل بمكتب الجزائر[6]بنيويورك لإرساله مجموعة من الصور، تمثل اللاجئين الجزائريين الجزائريين وكفاح الثوار الأحرار، بهدف إطلاع الأمريكيين عليها ليعرفوا جرائم الاستعمار في الجزائر[7]، كما كان سعد الله ضيف شرف في حفلة أقامها الطلبة الأفارقة بمناسبة يوم(إفريقيا) وألقى محاضرة عن"القومية الإفريقية" وقد لاقى ترحيبًا حاراً بعد انتهائه[8]، إن المتتبع لسيرة "سعد الله" عبر رحلاته التعليمية، يلاحظ أن هذا هذا الرجل لم يكن هدفه تحصيل العلم فحسب؛ بل تعداه إلى النضال من أجل إسماع صوت ثورته خارج وطنه لكسب مؤيدين ومتعاطفين معها، وهذا ما يدل على تكوينه المبني على قاعدة أساسها الوطنية والعروبة والإسلام هذه المبادئ التي كانت تجري في دمه ومتأصلة في روحه. وبعد الاستقلال عاد إلى الجزائر في أوت

[1]- منطلقات فكرية، المصدر سابق، ص-ص(50-51).
[2]- مسار قلم، ج3، المصدر سابق، ص 11.
[3]- نفسه، ص 16.
[4]- نفسه، ص 31.
[5]- نفسه، ص 20.
[6]- وهو مكتب جبهة التحرير الوطني يرأسه عبد القادر شندرلي ورؤوف بوحقجي، والصور عددها 20 صورة.
[7]- مسار قلم، ج3، المصدر السابق، ص 19.
[8]- نفسه، ص43 .

1962م، ممثلاً لفرع اتحاد الطلبة الجزائريين المسلمين في مؤتمره الخامس وهو الأول بعد الاستقلال، حيث عاش عندئذٍ جزء من الصراع السياسي بين قادة الثورة على السلطة[1].

2. نشاطه العلمي والصحفي

أ. **نشاطه العلمي والصحفي خلال الفترة (1952-1962م):** برز نشاطه الصحفي بداية في الصحف التونسية في مثل" النهضة والزهرة" وبعض المجلات مثل "المعارف والأسبوع" التي راسلها من بعيد و لم تربطه بها أي علاقة، ثم مراسلاً لمجلة" البصائر" من تونس في إطار تمثيله لبعثة "جمعية طلبة بعثة جمعية العلماء المسلمين" بمختلف النشاطات العلمية[2] كاستقبال الطلبة الجزائريين القادمين إلى تونس وحتى الخارجين في مهام علمية من طرف معهد "عبد الحميد بن باديس" إلى تونس وحتى المشرق، ومن ثمّ دعته الحاجة لنشر مقالاته الخاصة وفي هذا الصدد يقول: «...اكتشفت حيلة لأدخل بها إلى النشر في البصائر...»، وهذا ما حدث فعلاً فقد كان يهدي أعماله لبعض شخصيات الجمعية ومن ثمّ بدأت مقالاته وأشعاره في الظهور وهو طالب في الزيتونة [3] ونبرز هنا نقده "لرضا حوحو " وردّ هذا الأخير عليه وهي علامة بارزة لهذا الناقد الصغير[4] وجريدة "البصائر" اشترك له والده فيها باقتراح من الشيخ التليلي[5] وبدأ يكتب فيها بداية الخمسينات[6] كما نشر خلال هذه المرحلة في مجلات وصحف عربية مثل: "الآداب " البيروتية و"الرسالة" العراقية و"العالم العربي المصرية"[7] وبوصوله القاهرة في 1955م بقي مراسلاً "للبصائر" بخصوص نشاط الإبراهيمي بعنوان "رسالة القاهرة" ويذكر "سعد الله" بخصوص هذه المراسلات: «...لقد جلبت عليّ نقمة الطلبة المعارضين للشيخ "الإبراهيمي" والمؤيدين لمكتب المغرب العربي...»، لإشادته بدور الشيخ الإبراهيمي في خدمة الوطن[8] وتواصلت مراسلاته لها إلى أن توقفت عن الصدور في 1956م[9] فانتقل نشاطه عبر مجلة "العالم العربي" المصرية بمقال عنوانه (المغرب العربي في المرآة) في 1956م، ونشاطه العلمي برز من خلال حضور الندوات العلمية والثقافية في الجامعات وفي مجمع اللغة العربية وفي جمعية الشبان المسلمين وزيارة مقرات الصحف، وحتى يكتسب أسلوبًا علميًا وفنيًا في المجال الصحفي سجل في مؤسسة الصحافة المصرية التي تلقى بها دروسًا ونشط في الإشراف على جريدة حائطية بمقر إتحاد الطلبة بالقاهرة[10].

---

[1]- نفسه، ص 45.

[2]- سعد الله أبو القاسم، **"من ذكرياتي مع الصحافة"**، حولية المؤرخ، ع :3-4، الجزائر، 2005، ص-ص(349-350).

[3]- نفسه، ص 351.

[4]- عبيد مصطفى،**"النشاط الثوري لأبو القاسم سعد الله 1947-1960م"**،عصور الجديدة، ع:13،الجزائر:دار القدس العربي،2014م، ص 230.

[5]- سعد الله(أبو القاسم)، **حبر على ورق**، الجزائر:عالم المعرفة، 2011، ص 83.

[6]- بن خيرة ، المرجع السابق، ص 120.

[7]- وزناجي، المرجع السابق، ص 65.

[8] - سعد الله أبو القاسم، "ذكرياتي مع الصحافة"، المرجع السابق، ص 351.

[9]- حبر على ورق، المصدر السابق، ص 86.

[10]- سعد الله أبو القاسم، "ذكرياتي مع الصحافة"، المرجع السابق، ص-ص(353-354).

ب. **نشاطه العلمي والصحفي خلال الفترة(1962-1968م):** حفلت هذه الفترة بمختلف النشاطات العلمية والصحفية ولعل أهمها هنا حرصه الشديد وهو بأمريكا على تتّبع الأخبار الدولية عبر جريدة "نيويورك تايمز"[1] ومشاركته في لجنة البرامج العلمية بجامعة "أكلير" ومنحه مادة "تاريخ الشرق الأدنى" رغم المعارضة التي لقيها، كما نشط في مؤتمر عقد" بسان بول" في "منيسوتا"حول مؤرخي منطقة الوسط الأمريكي في أكتوبر 1965م، وفي مؤتمر المؤرخين الأمريكان بسان فرنسيسكو في ديسمبر 1965م[2]، وتواصله مع الإذاعة الوطنية في برنامج "مع رجال الفكر والأدب" حول أطروحته (الحركة الوطنية الجزائرية) في جوان 1966م، وحتى يبرز أكثر اشترك في مجلة "الآداب البيروتية "سنة 1966م التي سبق وأن رفضت نشر مقال له بعنوان "حركة الجزائر الفتاة "وفي رأيه أن السبب قومي لذا عمد لكتابة مقال آخر بعنوان"أزمة المثقف الثوري في الوطن العربي" ونشره فيها في 16 ماي 1966م ويعتبر هذا أول مقال له بالعربية في هذه المجلة وبعد حصوله على الدكتوراه[3]، ونشير أنه خلال فترة تواجده بأمريكا قد تعرف على مجالات أخرى في الصحافة مثل التصوير وتحليل الأخبار فأكسبته خبرة تجلّت في مراسلاته "للمجاهد الأسبوعي" ومجلة "المعرفة" ببعض المقالات والدراسات وهذا بعد تخرجه[4]، وفي الجزائر نظّم ندوات من ضمنها "ندوة الأساتذة" التي عنونها بدور الجامعة في العالم الثالث في جانفي 1968م مساهمًا في تنشيط الحياة الثقافية الفكرية في الحي الجامعي[5]، وندوة أخرى موضوعها (تيارات الفكر الغربي منذ 1945م)، وهذه النشاطات العلمية دعمها بنشاط صحفي من خلال مقال نشر له في مجلة "الجيش" بعنوان (فرنسا وبريطانيا واحتلال الجزائر) في 22 جويلية 1968م[6].

ت. **نشاطه العلمي والصحفي خلال الفترة (1968-2012م):** تشريفه لمؤتمر أدباء وكتاب المغرب العربي الذي عقد" بليبيا " في 15 مارس 1969م باعتباره ممثلاً عن الجزائر ومساهمًا باقتراح الموضوع (القضايا الفكرية والأدبية المعاصرة في المغرب العربي)[7]، ولعل النشاط الأبرز خلال بداية هذه الفترة هو عضويته "للجنة إصلاح التعليم" الوطنية التي نصّبها "بومدين " ممثلاً لوزارة التربية الوطنية دون علمه 05 ديسمبر 1969م، ثم في لجنة التعريب التي هي ضمن "لجنة الإصلاح " في 1970م وأغلب مناقشاته حول التعريب والتوجيه و"سعد الله" من المنادين بشعار "التعريب والتراث والثقافة العربية الإسلامية"[8]، وممثلاً لجامعة الجزائر في مؤتمر اتحاد الجامعات الجامعات العربية بالكويت مساهما بعدة توصيات واقتراحات في 1971م[9]، وفي عدة مرات مبعوثاً من وزارة

---

[1]- مسار قلم، ج3، المصدر سابق، ص 12.

[2]- مسار قلم ،ج3،المصدر السابق، ص، ص(33، 37).

[3]- نفسه، ص، ص(40، 46).

[4]- سعد أبو القاسم، "ذكرياتي مع الصحافة"، المرجع السابق، ص 355.

[5]- مسار قلم، ج3، المصدر السابق، ص 94.

[6]- نفسه، ص، ص(108، 119).

[7]- نفسه، ص 173.

[8]- نفسه، ص، ص(210، 226).

[9]- نفسه، ص، ص(241، 247).

التعليم العالي في مختلف الجامعات العربية بالعراق ومصر وسوريا لجلب الأساتذة للجزائر [1]، ومشاركًا ببحث حول (الرحلات الجزائرية الحجازية خلال العهد العثماني) في مؤتمر علمي بالرياض في أفريل 1977م مخصص للتاريخ القديم والوسيط والحديث [2]، وما يلفت النظر في هذه الفترة نشره لمحاضر جلسة جمعية العلماء المسلمين في 1954م (يشير المحضر لخلاف داخل الجمعية) نشر في مجلة "التاريخ " سنة 1980م [3]، ومسهمًا بموضوع (العامل الديني في الحركة الوطنية الجزائرية) مزج فيه بين التيار الإصلاحي والنجمي في الندوة العلمية "بباريس" سنة 1987م المصادفة للذكرى الخمسين لميلاد" نجم شمال إفريقيا " الذي اعتبر فرصة لإعادة النظر في كتابة تاريخ الجزائر المعاصر من وجهة نظر "سعد الله"، وفي هذا الصدد نشر له مقال انطباعي حول المؤتمر في جوان 1987م بجريدة "الشعب" أثار فيها قضايا مهمة كحرية التعبير والمدرسة التاريخية الجزائرية والفرنسية ومدى تكامل عناصر الحركة الوطنية وتأثير الإيديولوجيات الأجنبية في تفسير التطور الاجتماعي[4]، ونشير أن هذا البحث نشر أيضاً بمجلة "الفيصل" السعودية الذي أثار سخط الأساتذة الفرنسيين[5]، وبرزت نزعته الوحدوية من من خلال مقال (دور المثقفين في بناء وحدة المغرب العربي) صدر في جريدة "الجمهورية" في ديسمبر 1987م وفي مجلة" المسار المغربي" ويذكر في هذا الشأن «...الحديث عن المغرب العربي وحده نوع من التجزئة المكروهة، وهي التجزئة المحببة للامبريالية والصهيونية، ذلك أن عوامل الوحدة ...قائمة أيضاً بيننا وبين المشرق العربي...» [6]، وانتخب عضوا "لمجمع اللغة العربية " بالقاهرة في 12 نوفمبر 1988م[7] ومن ثمّ عضوا "لمجمع اللغة اللغة العربية" بدمشق في أفريل 1992م اعترافًا بمجهوداته العلمية[8] ودعّم هذا بمقال نشر في جريدة "الشعب" حول (اللغة العربية في مواثيق الحركة الوطنية) في مارس 1993م[9].

وحفل نشاطه العلمي بعد حصوله على منحة "فولبرايت " بأمريكا في 1993م بتحرير "تاريخ الجزائر الثقافي"[10]، وخلال تواجده بالأردن أصبح عضوًا فاعلاً لمجلة "المنار" العلمية التابعة لجامعة "آل البيت" التي نشر بها مقالاً (آخر الأعيان) في 1997م وبقي ينشط بها لغاية 2002م[11]، وتشريفه لندوة الخبراء حول مشروع

---

[1]- بليل محمد، **"الكتابات التاريخية عند شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله بين العاطفة الذاتية والحقيقة التاريخية"**، عصور جديدة، ع: 13، الجزائر:دار القدس العربي، 2014، ص 283.

[2]- سعد الله(أبو القاسم)، **مسار قلم**، ج4، الجزائر:عالم المعرفة، 2011، ص188.

[3]- مسار قلم، ج5، المصدر السابق، ص19.

[4]- سعد الله(أبو القاسم)، **في الجدل الثقافي**، الجزائر:عالم المعرفة، 2011، ص، ص(96، 112).

[5]- مسار قلم، ج5، المصدر السابق،ص95.

[6]- في الجدل الثقافي، المصدر السابق، ص، ص(168، 173).

[7]- حوارات، المصدر السابق، ص 46.

[8]- مسار قلم، ج5، المصدر السابق، ص 331.

[9]- نفسه، ص 378.

[10] - رضوان، شافو، منهجية البحث التاريخي عند أبي القاسم سعد الله، www.chihab.net، 22 مارس 2015م.

[11] - مسار قلم، ج6، المصدر السابق، ص324 .

كتابة تاريخ الأمة العربية في 1998م[1] ومن ثمّ اجتماع اللجنة العلمية بالقاهرة بخصوص"مرجع تاريخ الأمة العربية " بإشراف "الأليسكو" في ماي 1999م[2].

وفي الفترة الأخيرة نشط في تكريس اللغة العربية بحضوره دورة المجمع في 2008م ومشاركته بموضوع (اللغة العربية وتحديات العصر)، ودورة 2009م التي أثبتت تجربته كمراسل للمجمع سواء قبل أو بعد انضمامه تحت شعار خدمة اللغة العربية وترقيتها [3]، وعمل كباحث بالمركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية الوطنية وثورة نوفمبر 1954م وهذا منذ سنة 2008م[4]، ومن أبرز نشاطات المركز عقد الملتقيات والندوات العلمية ونشر المؤلفات وجمع الشهادات والمذكرات والرسائل الجامعية وبقي في المركز إلى أن وافاه الأجل[5]، كما أحيا بعض الشخصيات المنسية فنشر موضوع (مشروع بن باديس المعلق) في مجلة "الوعي" الكويتية وفي هذا الصدد يقول: «...سيأتي اليوم الذي يخرج فيه ابن باديس من القبر كالمهدي المنتظر...»[6] كما أشرف على على العديد من المذكرات منها إشرافه على "عبد الحميد زوزو" في رسالته (دور المهاجرين الجزائريين بفرنسا في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين) التي نالت التقدير وإشرافه على "سعيدوني والعربي الزبيري"[7]، والجدير بالذكر أنه عمل رئيسًا للجنة ترقية الأساتذة ولجنة معادلة الشهادات الأجنبية في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي[8].

3. نشاطه التدريسي والتربوي

أ- **نشاطه التدريسي بالجزائر العاصمة (خلال الفترة الاستعمارية):** ما إن تحصل على شهادة التحصيل في العلوم من جامع الزيتونة بتونس التي تؤهله لدخول الجامعة حتى تقدم بطلب منحة لمواصلة مشواره العلمي من جمعية العلماء المسلمين ولكونه لم يكن من طلبة معهد "بن باديس بقسنطينة" فقد رُفض طلبه مما حتّم عليه توفير المال لإتمام دراسته فامتهن التدريس في مدارس جمعية العلماء المسلمين[9] كمدرسة الثبات "بالحراش" والتي أدارها الشيخ "الربيع بوشامة"[10] ومدرسة التهذيب بالعاصمة والتي يديرها الشيخ محمد الحسن فضلاء[11]، ومن

---

[1]- نفسه، ص406.

[2]- نفسه، ص452.

[3]-سعد الله (أبو القاسم)، **حصاد الخريف**، الجزائر: عالم المعرفة، 2011، ص، ص(217-220).

[4]-بليل محمد "**الكتابة التاريخية عند شيخ المؤرخين بين العاطفة الذاتية والحقيقة التاريخية**"، المرجع السابق، ص 284.

[5]- خليفي عبد القادر، "**مع أبي القاسم سعد الله** "، عصور الجديدة، ع:13، الجزائر:دار القدس العربي، 2014،، ص 342.

[6]- حبر على ورق، المصدر السابق، ص 95.

[7]- مسار قلم، ج 4، المصدر السابق، ص 17.

[8]- نفسه، ج6، ص 08.

[9]- وزناجي، المرجع السابق، ص 41.

[10]- عبيد، "النشاط الثوري لأبو القاسم سعد الله "، المرجع السابق، ص 234.

[11]- في الجدل الثقافي، المصدر السابق، ص 213.

أدوارها التدريسية خلال هذه المرحلة هو تلك الدروس المسائية في "التاريخ الإسلامي "التي كان يتطوع بها لكبار السن، بالإضافة إلى تقديمه دروسًا لعامة الناس في مصلى الحي في المسائل الفقهية والأخلاقية، حتى أنه كان يُلقب"بالشيخ الصغير"[1] ودخله الشهري من التدريس قدّر بـــ17 ألف فرنك شهرياً جمع خلال فترته بالعاصمة 100 ألف فرنك[2]، من هنا بادر لاستخراج جواز سفر من تونس لاستكمال دراسته بالقاهرة، وفي أوت 1955م المصادف" لهجومات الشمال القسنطيني" بقيادة "زيغود يوسف" شارك في مسابقة التوظيف المنظمة من طرف جمعية العلماء ليلتحق كمعلم بمدارسها الحرة لكنّه انطلق للقاهرة قبل ظهور النتائج[3].

ب- **نشاطه التدريسي بمسقط رأسه (خلال المرحلة الاستعمارية):** بعد مرور خمس سنوات على ميلاد "سعد الله" دخل الجامع القبلي بالبدوع، فحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ "أبو القاسم بن البرية" والشيخ "الزبيري" وكرّره ثلاث مرات، وبعد هذا بدأ يستعد للذهاب لتونس لمواصلة دراسته، غير أن الجانب المادي لم يتوفر للوالد في ذلك العام وانتظر إلى أن حفظ المتون الأساسية قبل التحاقه بالزيتونة [4]، وبلدة "قمار" تعتبر من أوائل البلدات الجزائرية في اعتناق الفكر الإصلاحي وفي توجه أبنائها نحو "جامع الزيتونة" لطلب العلم، وندرج هنا تداول "سعد الله" على أحد تجار المنطقة لاقتناء جريدة "البصائر" في 1947م رغم صعوبة فهمه لبعض الأمور[5]، ونظراً لاجتهاده العلمي عهد له مرافقة مجموعة من تلاميذ "مدرسة النجاح" بقمار ليشاركوا في امتحان الشهادة الابتدائية المنظمة من طرف جمعية العلماء في مدينة "باتنة" سنة 1951م ويجدر الذكر أنّ هذه أول زيارة لسعد الله إلى هذه المدينة[6].

ت- **نشاطه التدريسي بأمريكا (خلال مرحلة ما بعد الاستقلال):** "سعد الله" قبل أن يناقش أطروحته وبتدخل من المشرف البروفسور "هارولد دويتش "، تعاقد مع جامعة "أوكلير" بولاية "ويسكنسن" لسنة واحدة وفعلاً بدأ التدريس أوائل شهر سبتمبر 1965م ولكنهم اشترط حصوله على شهادة الدكتوراه ليصبح العقد ساري المفعول[7]، وأسند إليه مادة"تاريخ الحضارة الغربية" المقررة على جميع الطلبة، حيث أشرف على أربعة أقسام (أثنى عشر ساعة بالأسبوع) كأستاذ مبتدئ[8]، ثم قبل بتجديد العقد لسنة مقبلة مع أنه لا يملك الخبرة الكافية في التدريس من قبل وفي ذلك يقول: «...لا أريد أن أبقى بعيدا عن الوطن ولكن وجود الحالة الراهنة في الجزائر لا ترضيني...» ومكنّه التدريس من تعزيز الثقة بنفسه وفهم آراء الطلاب من حوله: «...التدريس قد

[1]- وزناجي، المرجع السابق ص-ص(48-49).
[2]- بن خيرة، المرجع السابق، ص 115.
[3]- عبيد، "النشاط الثوري لأبو القاسم سعد الله 1947-1960 "، المرجع السابق، ص 234.
[4]- وزناجي، المرجع السابق، ص-ص(28-29).
[5]- سعد ابو القاسم، "ذكرياتي مع الصحافة"، المرجع السابق، ص 349.
[6]- في الجدل الثقافي، المصدر السابق، ص 57.
[7]- مسار قلم، ج3، المصدر السابق، ص 32.
[8]- حبر على ورق، المصدر السابق، ص 45.

أكسبني تدريبًا خاصًا في مواجهة الجمهور كما أكسب لساني طلاقة لم تكن في الحسبان...»[1] كما أضيفت له مادة "تاريخ الشرق الأدنى" رغم المعارضة التي لقيها من قبل أستاذة يهودية في إسناد المادة إليه، ثم مادة "تاريخ أفريقيا المعاصر"[2]، ومحاضراته الرسمية عبارة عن "مدخل للحضارة الأوروبية" لأربع شعب من طلبة السنتين الأولى والثانية و"تاريخ الشرق الأدنى لطلبة السنة الأخيرة، وتطوع لإعطاء درس خاص في "اللغة العربية" للراغبين من الطلبة وحتى الأساتذة من بينهم يهود[3]، وعن بعض عادات "سعد الله" التدريسية يذكر احتفاظه بمسودة عن كل محاضرة وفي الربع ساعة الأخيرة يمنحها للأسئلة والنقاش، ومع هذا عانى في البداية لضعفه في الإنجليزية ومع مرور الوقت اكتسب الخبرة[4]، ومع نهاية عقده الثاني منح شهادة شكر نظير جهوده من قبل رئيس الجامعة وعميد قسم التاريخ كانت بمثابة التزكية له في طلب العمل لدى الآخرين[5]، حيث عُيِّن أستاذاً زائراً في شهر سبتمبر 1977م لدى جامعة مينوسوتا" [6] ثم على جامعة "متشيغان "في نوفمبر 1978م[7]، وبعد وبعد حصوله على منحة "فولبرايت" في عام 1993م مدة ستة أشهر للبحث في التاريخ الثقافي دعته الحاجة للبقاء ثلاث سنوات، فعمل بالتدريس والبحث بجامعة"مينوسوتا" في 1994م، ومن ضمن المواد التي درسّها "تاريخ العرب الحديث" كما درّس في معهد "أوقسبورغ" مادة "الشرق الأوسط" في الفترة الصيفية[8].

ث- **نشاطه التدريسي بالجزائر المستقلة:** بعد عودته من الولايات المتحدة الأمريكية عمل كأستاذ مكلف بالدروس في جامعة الجزائر رغم حيازته لشهادة الدكتوراه بسبب المعادلة، وقبل به لشعوره بأن المصلحة العامة تقتضي ذلك خلال هذه المرحلة من تاريخ الجزائر، وحضر الافتتاح الرسمي للجامعة يوم 03 نوفمبر 1967م، وحول نشاطه التدريسي خلال هذه الفترة بالجامعة الجزائرية الفتية يشير إلى أن: «...الفرق واضح بين جامعات أمريكا والجزائر، هنا لا نظام ولا قانون ...ولا تسهيلات مادية...» وكان يشرف على ستين طالبًا معظمهم مدّرسون، والمواد التي درّسها (الجزائر في القرن العشرين، التيارات الفكرية الأوروبية في القرنين 19-20م) أما القسم التحضيري فخصّه بتاريخ الحضارات القديمة بالإضافة لإلقائه محاضرتين أسبوعياً في "معهد الصحافة" التابع للجامعة كان موضوعهما حول"المذاهب الفكرية الحديثة"[9]، وفي 20 جوان 1968م انتخب نائبًا لعميد كلية الآداب وهو أول منصب إداري يشغله في الجزائر، والجدير بالذكر أن "سعد الله" قدّم دروسًا

---

[1]- مسار قلم، ج3، المصدر السابق، ص، ص(38، 44).

[2]- حبر على ورق، المصدر السابق، ص 47.

[3]- مسار قلم، ج3، المصدر السابق، ص-ص(68-69).

[4]- حبر على ورق، المصدر السابق، ص-ص(46-47).

[5]- مسار قلم، ج3، المصدر السابق، ص 70.

[6]- نفسه، ج4، ص 240.

[7]- نفسه، ص 353.

[8]- نفسه، ج6، ص، ص(95، 105).

[9]- نفسه، ج3، ص،ص(87،89).

تطوعية لطلاب قدماء المجاهدين لاجتياز امتحان الدخول للكلية[1] و لم يعترفوا بشهادة ومؤهلات "سعد الله "في الإشراف إلى نهاية 1968م أين عيّن كأستاذ محاضر ولا يحصل عليه إلا حامل دكتوراه دولة[2]، كما تلقى دعوات للتدريس في" قسنطينة" في الفترة (1970- 1976)[3].

ودعوة من جامعة "وهران" قدّم خلالها محاضرات في التاريخ الحديث [4]، وألقى محاضرات "بالمعهد التكنولوجي" التكنولوجي" بابن عكنون[5].

ج- **نشاطه التدريسي بالمشرق العربي:** وجهت له دعوة من قبل "معهد الدراسات العليا "التابع للجامعة العربية بمصر في مارس 1970م لإلقاء محاضرات عن "تاريخ الجزائر الحديث" [6] وأخرى في مارس 1974م[7]، كما عمل أستاذاً زائراً بجامعة عين شمس بمصر لإلقاء محاضرات مدة خمس عشرة يومًا عام 1976م[8] ثمّ أستاذاً بجامعة دمشق في جانفي 1977م[9]، كما كانت له زيارات علمية لجامعة "الملك عبد العزيز" مدة خمس عشرة يوم ناقش خلالها رسالة الماجستير التي تقدم بها الباحث"مازن مطبقاني"[10]، وكان آخرها التحاقه بجامعة "آل البيت" بالأردن التي كان «...طلابها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي...، ونظامها أكثر تفتحًا واتصالاً بالنظم الغربية...»، ووقّع عقده على أساس سنة واحدة قابلة للتجديد، وبدأ التدريس رسميًا يوم 3 سبتمبر 1996م ودرّس فيها مادتي "المغرب العربي" للماجستير و"تاريخ العالم الإسلامي الحديث" لليسانس ثمّ مادة أخرى تعرف "بالمذاهب الفقهية والفرق الإسلامية " لنحو 50 طالبًا[11]، ويفيد بأن بعض هذه المواد لم تكن ضمن اختصاصه أعطيت له لاستكمال نصابه التدريسي[12]، وقد تحدَّث عن تجربته التدريسية بهذه الجامعة في نهاية مشواره بها سنة 2002 م قائلاً: «هي ست سنوات من العطاء في حياتي الأكاديمية ...»[13].

4. قضايا ومواقف لأبو القاسم سعد الله في السياسة والثقافة

[1]- نفسه، ص، ص(115، 119).
[2]- نفسه، ص 164.
[3]- مسار قلم ،ج4،المصدر السابق، ص 98.
[4]-مسار قلم ،ج3، المصدر السابق، ص 221.
[5]- نفسه، ص 426.
[6]- حوارات، المصدر السابق، ص، ص(216، 219).
[7]- مسار قلم، ج3، المصدر السابق، ص 409.
[8]- مسار قلم، ج4، المصدر السابق، ص69.
[9]- نفسه، ص 158.
[10]- نفسه، ج5، ص 148.
[11]- نفسه، ج6، ص، ص(236،248).
[12]- نفسه، ص، ص(251، 253).
[13]- حوارات، المصدر السابق، ص 205.

أ. القضايا المرتبطة بالتاريخ السياسي المعاصر: الملاحظ أنّ أبو القاسم سعد الله لم يكتب في القضايا السياسية إلّا نادرًا فقد كان اهتمامه بتاريخ الحركة الثقافية، ولكن من خلال تتبعنا لمقالاته استطاع أن يعبر عن بعض مواقفه السياسية على الساحة العربية والإسلامية والمغاربية وتناولها بالتحليل والنّقد مثل قضية العراق التي عُرفت بأزمة الخليج وقضية الربيع العربي مؤخرًا.

فقضية حرب الخليج الثالثة على العراق أخذت جانباً كبيراً من كتاباته واهتماماته وعنها يقول: «لم أكن أنوي الحديث عن الأزمة من قبل ولكن عندما تحولت الأزمة إلى حرب ضد بلد عربي مسلم مهما كانت مواقفه فقد وجدت نفسي مجبورا على التعبير بالقلم...»[1]، أما عن موقفه من غزو العراق للكويت سنة 1990م 1990م يقول: « قد يبدو التدخل العراقي غير متماشي مع حسن الجوار والمحافظة على سيادة الدول والقوانين الدولية الجاري به العمل، ولكن من الوجهة العربية المحضة فإنّ هذا التدخل مشروع جدًا وكل دولة عربية قادرة على بسط نفوذها على دولة عربية أخرى، يمكنها في نظرنا أن تفعل ذلك لصالح الأمة العربية نفسها لأنّ هذا التقسيم الذي عليه الوطن العربي ما هو إلا صنيعة من الاستعمار الغربي...»[2] وقد أعدّ الغرب العدّة للتدخل لضرب العراق بعد غزوه للكويت ومحاولة الضغط الغربي لجر العرب للوقوف ضد العراق «...الأمريكيون أنزلوا القوات بأعداد ضخمة وكل شيء ينذر بالحرب، وبعض الأنظمة العربية تعاونت معهم...وهكذا ضاعت القضية»[3]، يرى سعد الله أنّ ما يفعله الغرب من غزوه للجزيرة العربية «هي حملة صليبية – اقتصادية ظاهرها الغيرة على الكويت، وباطنها احتلال منابع النفط وإشباع الحقد الصليبي التاريخي»[4]، وقد اهتّم كثيراً بموقف الأنظمة العربية والشعوب العربية من هذا العدوان وقام بتشريحها تشريحًا دقيقًا حين يقول: «إنّها مأساة العالم اليوم كله متحامل على العراق بدعوى واهية وهي الاعتداء على الكويت ولكن وراء ذلك مخططات أخرى، والغريب أن أنظمة عربية سارت في هذه المخططات من أجل المال، مثل مصر وسورية، وأخرى من أجل بقاء الارتباط بالغرب أو مغلوبة على أمرها مثل السعودية وبقية الدول الخليجية...»[5] ويضيف: «الغريب كيف تحولت السعودية إلى قلعة للقوات الأمريكية والدولية بما فيها الإسرائيلية غير الظاهرة، وكيف تخاذلت لقوات الأطلسي بالانطلاق من أراضيها ضد العراق، أما موقف حكومة الجزائر الرّسمي فهو مائع وغير محدد»[6]، وقد أخذ سعد الله موقفًا من مصر لمشاركة قواتها مع أمريكا في الحرب على العراق فقرّر ألا يسافر إلى مصر لحضور دورة مجمع اللغة العربية عام 1991م «أنا أرفض أن أكون في مصر في هذا الظرف بالذات، وقد سمعت أن

[1]- مسار قلم، ج 5، المصدر السابق، ص 240.
[2]- مسار قلم، ج5،المصدر السابق، ص-ص (220-221).
[3]- نفسه، ج5، ص 222.
[4]- نفسه، ج 5، ص 222 .
[5]- نفسه، ج5، ص 226 .
[6]- نفسه، ص 239 .

معظم مثقفيهم قد اشتراهم الكويتيون والسعوديون بالأموال ليقفوا ضد العراق بطريقة مبسطة جدًا ...»[1]، وقد قال عن بعض الأنظمة: «...متحالفين مع دول موجودة مجازًا لا حقيقة، مسكتين هذه بالمساعدات الاقتصادية -وتلك بغنائم ما بعد الحرب، وانجرَّت إليهم نظم عربية وما هي بعربية في الصميم، كانت تدور في فلكهم فإذا هي تساق كخراف العيد إلى حيث مذابحها دون أن تملك لمصيرها قرارًا أو تدرك لذبحها معنى»[2]، وتخاذل الوطن العربي والإسلامي إزاء الضغط على العراق والتدخل الأمريكي– البريطاني-الفرنسي في العراق «الحكومات العربية ذليلة لدرجة أنّها عاجزة عن إصدار حتى قرار إدانة أو مطالب أو التعبير عن وجهة نظرها في القضايا المصيرية، سبحان الله كيف يتحول العالم العربي والإسلامي إلى عبيد وخونة وأذلاء، أمام كل الأعين نشاهد أندلسًا جديدة في البوسنة والهرسك، ونشاهد ضياع قضية فلسطين فيما يسمى محادثات السلام، بينما المسلمون وزعمائهم في البلدان العربية مسجونون أو معتقلون أو تحت طائلة المحاكم كما هو الشأن في تونس ومصر والجزائر...»[3]، وبهذا ساهمت الأنظمة العربية في تدمير العراق «هاهم ورثة ملوك الطوائف الذين أصبحوا ملوك ورؤساء العشائر، وعملاء الصهيونية والأمريكان يبيعونك أنت في المزاد للزناة، واللقطاء واللصوص»[4] وعملت الأنظمة العربية على تحويل عساكرها في نظر سعد الله إلى أدوات لحماية نفسها «الذين يستخدمونها للاستعراضات لا للدفاع عن شرف الأمة والحدود القومية»[5] ويضيف «جيوشنا العربية جيوش ثكنات لا جيوش معارك وهي إلى الآن أحلاس قصور لا فوارس ميدان، وهي حامية نظام لا حامية ضمار، وهي طالبة أوسمة وأشرطة، لا طالبة مجد وفخار، إنّها جيوش لم تقرأ عن حطّين، ولا عن صلاح الدّين ولا نهاوند ولا المعتصم، إنّها جيوش تمارس معاركها على البطون والفروج وتشاهد يوميًا أفلام (الكاوبوي) وتمضغ المخدرات في الشوينـــقوم»[6].

أما عن موقفه من انسحاب الجيش العراقي من الكويت هذا الحدث المفاجئ لكل الناس هذا الأمر الذي سمّوه أهل الخليج انتصاراً «بينما هو انحدار لقدرة الأمة العربية والإسلامية واحتلال إضافي لأراضيها»[7]، وفي نظر نظر سعد الله فقد: «حقّق العراق انتصارًا كبيرًا مع ذلك، فقد ضرب إسرائيل بحوالي أربعين صاروخًا، وضرب قواعد أمريكية بالصورايخ....وكشف عن خيانة الأنظمة العربية المتحالفة وغير ذلك، فإذا قبلوا بوضعه الحالي فسيستعيد مكانته بسرعة، ولعلّ قضية فلسطين ستستفيد قريبًا»[8]، ونجده بعد إحدى عشر سنة أي بعد الغزو

---

[1]- نفسه، ص 242 .

[2] - سعد الله (أبو القاسم)، **هموم حضارية**، الجزائر:عالم المعرفة، 2011، ص 97 .

[3]- مسار قلم، ج5، المصدر السابق، ص 350 .

[4]- هموم حضارية، المصدر السابق، ص 141 .

[5]- أفكار جامحة، المصدر السابق، ص 153 .

[6]- هموم حضارية، المصدر السابق، ص-ص (95-96).

[7]- نفسه، ص 314 .

[8]- نفسه، ص-ص (242-243).

الأمريكي للعراق سنة 2003م يقول: «كنت أشعر أن العاصفة الثانية قادمة لا محالة لأن الحرب الأولى لم تشبع نهم الطامعين»[1]، وما الذي يمنع أمريكا من الانقضاض على العراق بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وافتعال طالبان وأحداث نيويورك لتحريك حرب ثالثة باسم مكافحة الإرهاب.

أما عن موقفه من أحداث العنف (السياسي والأمني) التي عرفها الوطن العربي فيما سمي في أبجديات الساسة والإعلاميين بـــ(الربيع العربي) فقد قام بالمقارنة بين تاريخ الغرب الأوربي وتاريخ المغرب العربي مستندًا لابن خلدون في وصفه للوقائع والشواهد: «إنّ تاريخ المغرب العربي كان تاريخًا سلبيًا لا يرفع رأسًا ولا يخرق أرضًا ولا يبلغ الجبال طولاً، إنّه تاريخ لا في السياسة ولا في الاقتصاد ولا في الثقافة ولا في الاستقرار الاجتماعي والإبداع الحضاري مليء بالأشياء المحزنة والحوادث المؤسفة، لا يحتكم مرتكبوها إلى عقد اجتماعي وسياسي مع الرعية ولا يرجعون فيها إلى قرآن أو سنة، وقد نبالغ فنقول: إنه لا حكم عندهم إلاّ لغريزة الغاب ومنطق الدّم والخطير هو أن هذا السلوك قد جرى في دماء حكامنا المعاصرين ومازال يجري و لم توقفه إلا بعض الثورات الشعبية التي تفضح المستور وتقلب الأمور»[2]، ونفس الأمر كان يحدث في الغرب الأوربي منذ العصر الروماني لكن الغرب خرج من عصر الظلام إلى آفاق العصر الحديث واستيقظ على وقع حضارة الإسلام من جهة وتراث الإغريق من جهة أخرى، فاستعار الغرب ما ناسبه، ولكن الطرق لم تكن سليمة كذلك وربما كانت أكثر دموية من تجربة الربيع العربي والفرق بين تجربة الربيع العربي وتجربة الغرب أن هذه الأخيرة كانت تدور في آفاق مفتوحة بينما تجربة الربيع العربي تدور في فلك مغلق وكانت النخبة الغربية تتجمع لتطلب حقوقها من سلطانها، والغرب من أجل حقوقه وضع قواعد للتداول على السلطة والحد من سلطة الكنيسة وفي سبيل ذلك سقط كثير من الضحايا وهم يسّمون ذلك معراج الديمقراطية وثمن الحرية، وهنا يشبه سعد الله أحداث الربيع العربي بما حدث في الغرب الأوربي في بعض منعطفاته، فالاستبداد واحد، وطرق التخلص من المستبد تكاد تكون واحدة ومحاولات الاستئثار بالحكم واحدة، والخروج من المعايير الدينية والأخلاقية واحد: «ولكنّ أقطار الربيع العربي عندنا ما تزال تنتظر تفتح الأزهار لان الهدف من التجربة وهو الديمقراطية ما يزال بعيدًا عمّا توقعت الشعوب، وبلوغ حكامة ما يسمى في بعض اللغات درجة ستيتسما أو رجل الدولة، ثم إن بعض دول الربيع العربي تحولت إلى حمامات دم وخراب بيوت وتقسيم أوطان، وإن شئت تحولت إلى شتاء قاس تعبث به العواصف والأنواء»[3].

ومن القضايا المرتبطة بالتاريخ السياسي المحلي، يمكن تسجيل موقفه من الوجود العثماني بالجزائر ففي الجزء الأول من موسوعته تاريخ الجزائر الثقافي انتقد العثمانيين «ووصفهم بالأعلاج، الجهلة الذين لا يعرفون

---

[1]- وزناجي، المرجع السابق، ص 161.

[2]- أبو القاسم سعد الله: الشروق، ع: 3856، الخميس 6 ديسمبر 2012، ص 21.

[3]- نفسه، ص 21.

القراءة والكتابة ...مغامرين لا فائدة لهم في الحكم إلّا جمع المال والتسلط.... وكانوا لا يسمحون للجزائري أن يقترب من النفوذ السياسي وقد مكنو طائفة اليهود من الاقتصاد وكانوا يفضلون الأسيرة المسيحية على المرأة الجزائرية المسلمة...امتاز عهدهم بالعنف الدموي وقصر فتراتهم في الحكم بالفوضى وانتشار الرشوة والظلم والفساد»[1]، ومن الواضح أن مآخذ "سعد الله" على الحكم العثماني بالجزائر «تدخل في باب العتاب وليس العداء والقطيعة مع البعد الإسلامي، الذي كانت تمثله الرابطة العثمانية»[2]، ومن جهة أخرى نجده وفي موضع آخر يدافع عن سياسة العثمانيين حيث لاحظ أنهم «اتبعوا في الجزائر نفس السياسة التي انتهجوها في بقية الولايات العربية وهي عدم التدخل في الشؤون التعليمية والثقافية، وهذه سياسة إسلامية متوارثة... ولا أكتمكم أنني أخالف الرأي الذي يلقى التبعية دائمًا على أصحاب السلطة والنفوذ، ذلك أن الشعب أو أهل البلاد أو الرعية...إذا لم تقم بواجبها فلماذا يلام الحكام وحدهم؟ وما الحاكم إلا واحد منهم»[3]، فلو«تشبّع الجزائريون من دراسة العهد العثماني، ...لامتلئوا فخرًا واعتزازاً، فوجود العاصمة (الجزائر) يرجع لهذا العهد والحدود السياسية ترجع إلى هذا العهد والشكل الجغرافي ما عدا الجنوب، يرجع لهذا العهد والمعاهدات الدولية مع رجالها يشهد عليه هذا العهد والأسطول تأسس في هذا العهد، والوحدة الترابية من مخلفات هذا العهد، وصك العملة ووجود راية ترجعان إلى هذا العهد»[4]، وعن طبيعة الحقبة العثمانية في الجزائر يقول: «هو فتح في عصر الحروب الدينية، وهو تدخل أو دخول في عصر العدوان على الشعوب الإسلامية وقت ضعفها وتنازعها وهو احتلال في عصر القوميات، وعلى كل حال فهو ليس تواجدًا ولا دخولاً لأن التعبيران يعنيان زمنًا قصيرًا غير مؤثر، بينما العهد العثماني (ثلاثة قرون وأكثر) له تأثيره وطابعه الخاص »[5] «ولقد صدق الدكتور سعيدوني في استنتاجه، فكما أحاسب النظام اليوم عندنا وعند الآخرين فكذلك أحاسب النظام العثماني على سلبياته التي قادتنا إلى كارثة الاحتلال، فلو أقدم النظام العثماني وأشرك معه الشعب وساير النهضة الأوروبية في أمور لما وقعنا فريسة للاستعمار»[6]، وهنا نستنتج أنّ موقف سعد الله ليس متناقضاً مع هذه الحقبة السياسية في تاريخ الجزائر فلم تكن نظرته مع أو ضدّ بل احتوت على عدة وجهات نظر في الوقت نفسه .

ب- **القضايا المرتبطة بالتاريخ الثقافي:** كانت القضايا الثقافية من المسائل التي شغلت فكر أبو القاسم سعد الله وكانت محور اهتمامه أكثر من نصف قرن حيث نذر نفسه لخدمتها وتصدى للمخططات الثقافية والفكرية التي أثارها الاستعمار ولازال يثيرها بهدف عزل الجزائر عن الأمة العربية والإسلامية وإلحاقها بفرنسا

[1]- سعد الله، (أبو القاسم)، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، الجزائر، عالم المعرفة، 2011، ص-ص(14-15).

[2]- سعيدوني، دراسات وشهادات، المرجع السابق، ص 504.

[3]- وزناجي، المرجع السابق، ص 124.

[4]- نفسه، ص 126.

[5]- نفسه،ص 125 .

[6]- نفسه، ص 231.

ثقافيًا. ومن القضايا الثقافية التي اهتم بها مسألة التراث حيث يفرق سعد الله بين نوعين من التراث فهناك التراث الشامخ الذي يعبر عن ثقافة الأمة وإسهامها الحضاري، وهناك التراث الذي يعنى بالأساطير والخرافات وأشكال متعددة من مظاهر التخلف العقلي، ويعتقد أن كل الشعوب تعيش على التراث، إلا أن الفرق بين الشعوب المتقدمة والشعوب المتأخرة أنّ الأولى تعتز بتراثها «لكنها تتجاوزه إلى صنع المستقبل الذي سيصبح طبقاً للسنن الطبيعية تراثاً في حد ذاته»[1] أما الشعوب المتأخرة فهي التي «تتشبث بالتراث لذاته»[2]، ويتّضح موقف سعد الله بضرورة الاهتمام بالتراث الذي يصفه بالتراث الشامخ الذي يعبر عن أصالة الأمة وإسهامها الحضاري خصوصًا في مرحلتنا هذه فإننا« نحتاج إلى التراث الإيجابي لتحديد هويتنا، ونحتاج أيضاً إلى الانطلاق نحو المستقبل لصنع تراث جديد تعتز به الأجيال القادمة»[3].

فالتراث الإيجابي سيكون ثمرة النظر في التراث ومعرفة الثابت منه والمتغير، فما كان ثابتًا فهو الصالح الذي لا يتجاوزه الزمن، أما المتغير فهو ما كان صالحًا للأجداد في زمانهم بطبيعة عصرهم، ولا يصلح لكل الأزمان لأن لكل عصر معطياته ومستجداته لابد من الأخذ بها بنحو يتماشى مع ما هو ثابت، ومن ثمّ تكون الاستفادة من هذا التراث متوقفة على النظر والاجتهاد في معرفة الثوابت والمتغيرات، أما الاهتمام المبالغ فيه بالتراث على حساب الاهتمام بالواقع والمستقبل من شأنه أن يعرقل الإرادة العربية والإبداع «وبدل أن يكون التراث دافعًا لنا على التطلع والاستشراف والإبداع أصبحنا نقتات تراثاً ونفكر بتفكير الماضي، إنّ الإسراف في طرح قضية التراث تؤدي لا محالة إلى عرقلة الإرادة العربية والإبداع»[4]، وإنّما تكون الانطلاقة نحو المعارضة من التراث نفسه والعمل على صنع تراث آخر يتفق مع العصر وتعتز به الأجيال القادمة وفي نفس الوقت يعبر عن أصالة الأمة وحضارتها وعملية إحياء التراث وبعثه يجب أن تكون محل تخطيط ودراية ولا توكل إلى مؤسسات تجارية، أو دعائية تسعى وراء الربح المادي أو الحصول على الشهادات على حساب البحث العلمي والإبداع الفكري، ومثل هذه المؤسسات كثيرة في البلاد العربية كما أن هناك «جيش عرموم من المحققين والمتاجرين بالتراث»[5]، ويذكر سعد الله أن تراثنا التاريخي العربي الإسلامي يتميز بالوفرة والكثافة وقد شغل التاريخ العام أو العالمي والتاريخ المحلي أو الإقليمي، وبأن مؤرخينا وجغرافيينا قد اكتشفوا آفات وعوالم لم يكن الآخرون ليعرفوها إلا في أزمنة متأخرة، ولم يتوّصلوا إلى معرفتها إلا وفق المعلومات التي وفرّها لهم أجدادنا[6]، والتراث الإيجابي لأجدادنا لا يستهان به فقد كان إنتاجهم الفكري مبنيًا على «نظرات نقدية صائبة وفهم للبحث مستفرد، اعتمد في الأساس على قواعد تمحيص الحديث الشريف التي ابتدعوها، كما أن العرب قد أبدعوا في التراث

---

[1]- حوارات، المصدر السابق، ص 32.

[2]- في الجدول الثقافي، المصدر السابق، ص 242.

[3]- حوارت، المصدر السابق، ص 32.

[4]- سعد الله(أبو القاسم)، **قضايا شائكة**، الجزائر:عالم المعرفة، 2011، ص92.

[5]- نفسه، ص93.

[6]- حوارات، المصدر السابق، ص163.

الإغريقي وقدموه في طبعة منّقحة ومزيدة واستفاد منه العالم الحديث»[1]، وقد تميز التراث الثقافي للأمة الإسلامية بطغيان التاريخ السياسي واشترك في هذه الظاهرة مؤرخونا مع مؤرخي العالم «فكتبوا عن الدول والملوك والسلاطين والأمراء، وأرَّخوا للفتن والحروب السياسية وبالمقابل أهملوا كما فعل غيرهم أيضاً، حياة الناس وأنماط عيشهم وعلاقاتهم الاجتماعية وإنتاجهم الاقتصادي وأنواع تفكيرهم وجمعياتهم ونزاعاتهم إلى الحياة الأفضل»[2].

وفي قضية الثقافة والعولمة يرى سعد الله أنّ العولمة: «استعمار بوسائل وتقنيات عصرية لم تكن في متناول الاستعمار القديم»[3]، كما يعرفها أيضاً أنها تعني:« السيطرة على مقاليد الشعوب من قبل دولة عظمى متفردة تريد حكم العالم وحدها، عن طريق حكام ممثلين لها يظلون في الحكم متى شاءت أيضاً، وهي تخلق الذرائع تلو الذرائع للسيطرة والتحكم، ومنها التخويف والغزو والمصادرة والعقوبات، فالعولمة تعني أيضاً الهيمنة على الآخرين»[4]، ومقاومتها لا تعني مقاطعتها أو عدم الاستفادة منها لأن فيها ميزات مفيدة للجميع، وأن مصطلح العولمة دخل أدبياتنا منذ حوالي عشرين سنة، ولم يدخل كمصطلح ثقافي أو أدبي أو فني وإنّما دخل كمصطلح إعلامي وسياسي وإستراتيجي واقتصادي ويعني سيطرة أو تحكم قطب واحد أو دولة واحدة على سير ومصير العالم بكل ما في هذا العالم من أمم وحضارات وتواريخ ولغات وأديان والعالم بحكم العولمة والتكنولوجية أصبح قرية واحدة اختفت منها الدول والكيانات وتحولت إلى أجزاء من كل لا يتمتع فيه الجزء إلّا بقدر ضئيل من الحرية وعلى هذه الأجزاء أن توائم بين مصالحها ومصالح الدول القطبية الواحدة التي تملك القرار في كل شيء بما في ذلك الثقافة وأي مخالفة من قبل أي جزء من الأجزاء فإن العواقب تكون وخيمة قد تنتهي بالتدمير الشامل[5].

أما العولمة الثقافية عنده فهي: «صبغ الثقافات السائدة اليوم بلون الثقافة الأمريكية وصهرها بالتدرج لتخرج منها ثقافة موحدة أو متشابهة وهي ثقافة العصر الأمريكي المتميز بالعلم والتكنولوجيا وسيطرة اللغة الانجليزية وآدابها وفلسفتها وبذلك تتحول ثقافات العالم إلى عنصر داعم للسلام العالمي الأمريكي الذي تختفي في ظلاله القوميات والمعالم الحضارية الخاصة»[6]، والعولمة تهدف إلى وحدة العالم سياسيًا وثقافيًا بحيث ينشأ في النهاية نظام دولي واحد يكون تحت رعاية منظمة الأمم المتحدة التي تسيرها الولايات المتحدة الأمريكية والتي يكون لها برلمان واحد بدل الجمعية العامة ولها لغة واحدة مشتركة هي اللغة الأمريكية، ولها مرجعية واحدة هي

---

[1]- في الجدل الثقافي، المصدر السابق، ص242.

[2]- حوارات، المصدر السابق، ص-ص(163-164).

[3]- وزناجي، المرجع السابق، ص187.

[4]- وزناجي،المرجع السابق، ص187.

[5]- سعد الله(أبو القاسم)، **مجادلة الآخر**، الجزائر:عالم المعرفة، 2011، ص-ص (241-242).

[6]- نفسه، ص-ص (242-243).

الدستور الأمريكي، وثقافة واحدة تتمثل في الآداب والعلوم والفنون والتكنولوجيا التي هي نتاج القلب والعقل الأمريكيين[1]، فالإنسان الأمريكي ليس غيورا على تراثه الثقافي، كما أنه ليس غيورا غيرة عقائدية على معتقداته وآثاره الأدبية والعلمية والفنية لأن هذه الأشياء قابلة عنده للتغير والتغيير، فكل شيء عنده يمكن النظر فيما إذا كان سيتحول إلى صفقة رابحة فكل شيء قابل للتطور ومسايرة العصر فاللغة عنده ليست مقدّسة فهي تقبل بالتطويع والتطوير وكذلك الموسيقى عليها أن تواكب عصر السرعة فتبتعد عن الحزن واليأس والكسل ومظاهر التخلف والجهل والفقر، والثقافة الأمريكية تحدث الصدمة فتصدم الآخرين في عقائدهم وأخلاقهم وتراثهم وأن تخرجهم من الأوهام والأساطير إلى الواقع والمستقبل، فبدون صدمة لن تكون هناك يقظة ولا نهضة ولا تقدم ولا حرية ولا ديمقراطية[2].

ويقول سعد الله أنّ مفهوم العولمة ليس جديدا علينا والذي يدرس التاريخ البشري يعرف أن العولمة بمعنى سيطرة القوي على الضعيف فهي تمثل جدلية لا تنقطع؛ فالمنطقة العربية عاشت ظاهرة العولمة في هيمنة القرطاجيين والرومان والفرس والروم في الأزمنة البعيدة وعاشتها في هيمنة أمريكا وروسيا منذ 1945م وما يميز هذا العصر هو الهيمنة الأمريكية التي لم يطل أمدها لأنها تخالف سنة الحياة وإن تعدّد الأقطاب يحقق منهج التدافع الذي نص عليه القرآن الكريم وليس منهج التصادم بين الحضارات الذي قال به بعض المنظرين الغربيين المعاصرين مثل: أرنولد توينبي، وفوكا ياما، أما عن الغزو الثقافي أو الاحتكار الثقافي الغربي يؤكد سعد الله أن من حق أي ثقافة أن تكون هي السيدة إذا توفرت لها القوة وعناصر البقاء، وعندما كانت الثقافة العربية الإسلامية في حالة قوة وازدهار أثرت في أوربا ثم تغير الوضع فتأثرنا بالثقافة الأوربية النصرانية منذ التغلغل الاستعماري[3].

وبخصوص موضوع اللغة والهوية التاريخية نجد أن اللغة العربية مثّلت لسعد الله روح المجتمع والأمة وكان من المدافعين الشرسين عن الهوية الوطنية ولغة الجزائريين التي حاول الاستعمار طمسها، ولذلك أتقن عدّة لغات من أجل الإلمام بما كتب عن الجزائريين عبر التاريخ، وفي كلّ مناسبة لم يتردد في الدفاع عن لغته الأصلية وظلّ متمسّكًا بهويته العربية والإسلامية و لم يتنكّر لها « فالهوية ليست لعبة يتقاذفها النّاس في الشوارع، إنّها خلاصة عمل الأجيال السابقة وعصارة تراثهم وتفكيرهم»[4]، هذه الهوية التي ضحى من أجلها آلاف الجزائريين بحياتهم وهي وجود الأمة الضارب في التاريخ وأنّ ثوابتها هي الإسلام واللّغة العربية والوطن الجزائري ولقد كان الشيخ بن باديس من المدافعين عليها ورد على جميع المشككين في هوية الشعب الجزائري بقوله: الإسلام ديني والعربية لغتي والجزائر وطني وأنّ ما عدا ذلك زيف وزيغ وخزعبلات، فقضية اللّغة العربية ومسألة التاريخ من المسائل

[1] - نفسه، ص 243.

[2] - نفسه، ص 244.

[3] - وزناجي، المرجع السابق، ص 154.

[4] - نفسه، ص 182.

التي استبدت بفكر سعد اللّه وهذا يتّضح لنا من خلال بعض المقالات التي عالجت وضع العربية ومكانة التاريخ في الجزائر: أخبار الحاج ديكارت، القضية المريضة، التاريخ قضية كبيرة في الجزائر، وعودة إلى مجمّع الخالدين... ولطالما تألّم سعد اللّه لواقع العربية المأساوي فها هو ممثّل بلدية تيزي وزو يتحدّث بالفرنسية في حفلة وداع لرياضيين عرب: «...كدت أن أصرخ من الشرفة بأن تسقط فرنسا وحزبها...»[1]، ولغة الملتقى الأوّل للبحث العلمي في الجزائر سنة 1982م هي الفرنسية «... لقد أحسست بما أحسّ به المتنبّي في شعب بوّان (غريب الوجه واليد واللسان)، سبحان الله أبعد عشرين سنة من الاستقلال مازلنا نسّير جلساتنا العلمية – كلّها – بالفرنسية؟»[2]، والهاجس الذي أرّق سعد الله هو التوجّه المعادي للغة العربية والذي يدعو للهجات المحلية ويدعم اللغة الفرنسية ذلك أن: «... فرنسا التي خرجت من الجزائر... كان يهمّها بقاء لغتها وثقافتها في مستعمراتها القديمة ... لأنّها تدرك أنّ في بقاء نفوذها اللغوي والثقافي بقاء لنفوذها السياسي والاقتصادي»[3]

غير أن عزاء سعد الله في كلّ هذا كان ما يحدث بالجزائر العميقة في الأوراس وميزاب اللتين ظلّتا بعيدتين عن عملية الهدم الحضاري التي تعرّضت له جزائر الاستقلال فكتب في مقال (حفل في ميزاب) «وقد قلت لإخواننا الميزابيين إنّ غيركم يقعقع كثيراً ولكن بدون ماء ويجعجع كثيراً ولكن بدون طحين، أمّا أنتم فلكم الفيض من الماء والعرم من الطحين»[4] ومقال (في أعماق الأوراس) « إذا وسوس لك الشيطان أو اعتراك النسيان فاذهب إلى الأوراس لتتطهّر من ذنوبك وتنعش ذاكرتك ولتعلم أنّك لا تزال في بلاد الثورة التي حطّمت أصنام الاستعمار وأنّك في موطن الإسلام الذي جرَّ أذياله تيهًا على كلّ الأديان وأنّك في حصن العروبة التي يتفاخر بها عدنان وقحطان ...»[5]، ونادى سعد الله بجزأرة الهوية الجزائرية التي استولت عليها فرنسا وراحت تحاول أن تصطنع لها هوية مزعومة خاصة جوهرها العادات والتقاليد الاجتماعية المحلية والفرنسية والتي فشلت قيادتنا في استعادتها «واكتفت بظواهر الاستقلال ورموز السيادة من علم ونشيد وعملة ومراسيم تستعملها حتى أصغر وأفقر الدول اليوم وأكثرها تخلّفًا وأحدثها تكويناً»[6] وسعد الله لا يلقي اللائمة على الاستعمار الفرنسي فقط فنحن نفعل مثله أو أكثر في تدمير هويتنا بأنفسنا «ما دخل الاستعمار اليوم حين يتحدّى تجار العاصمة أجدادهم ومواطنيهم فيكتبون لهم عناوين محلاّتهم التجارية بالفرنسية فقط... أليس ذلك تحطيماً للهوية؟ أليس هذا هو الانسلاخ من الذات؟ ثمّ ما دخل الاستعمار حين يتكلّم المسؤولون باللّغة الفرنسية

[1]- مسار قلم، ج 5، المصدر السابق، ص 184.
[2]- نفسه، ص 30.
[3]- حصاد الخريف، المصدر السابق، ص 223.
[4]- هموم حضارية، المصدر السابق، ص 74.
[5]- في الجدل الثقافي، المصدر السابق، ص 53 .
[6]- حصاد الخريف، المصدر السابق، ص 88.

ويهملون لغتهم الرسمية ويفرضون على المواطنين التعامل بالأوراق الإدارية المحرّرة باللغة الفرنسية وحدها بل ويفرنسون حتى ما سبق تعريبه من أوراق؟ أليس ذلك ردّة شنيعة وتدمير لهويتنا بأيدينا؟ »[1].

وبعد الاستقلال صبغت وجود العربية في المجتمع الجزائري، إلا أنّ اللغة الأمازيغية والفرنسية ظلّتا محتفظتان بأهمّيتهما ومكانتهما فإذا كانت الفرنسية هي لغة النخب المثقفة فإنّ الأمازيغية قد اكتسبت أهميتها من تاريخيتها وجغرافية انتشارها ومع ذلك فرض التيار العروبي في الجزائر في فترة الرئيسيين بن بلة وبومدين اللغة العربية فيما عرف بسياسة التعريب وكان سعد الله من دعاة العروبة وتعزيز القومية باعتبارها هوية الجزائر الوطنية الثانية فكانت ثورته على معادي التعريب وفي الستينات اعتبر سعد الله أنّ « كلّ شيء خارج إطار المد العربي الوحدوي التحرري ومواجهة الإمبريالية والاستعمار كلّ شيء خارج هذا الإطار هو نوع من التشويش على المشروع القومي، وكان ينظر له على أنّه أفكار ذات خلفية استعمارية»[2] وقد اشتهر سعد الله بموقفه المتشدد اتجاه المسألة الأمازيغية واتّهم بالتعصب للثقافة العربية الإسلامية فصنّف أنصار الأمازيغية ضمن أعداء الوحدة الوطنية الآخرين كالفرانكفونية ورجال الكنيسة والأقدام السوداء والحركي[3]، وانتقد نشاط مركز لاكراب المختص في الدراسات ما قبل التاريخ في الأنتروبولوجية «كان مركز (الأكراب) مجمّعا تلتقي فيه عناصر معروفة عندنا بميولها الفرانكفونية والبربرية وتزعم أنّها تبحث عن أصل سكان الجزائر وتنتقل في أقاصي الجبال وأطراف الصحاري لنفس الغرض ... وكان هذا المركز هو الذي يوجه بعثات البحث في أنحاء القطر، كان مديره في ذلك الوقت يعلّم اللهجة البربرية بالفرنسية في الجامعة بعد إصلاح التعليم العالي، وعندما اعترض عليهم بعضهم في ذلك من أنّه كان يدرّس لهجة غير مقررة قيل انّه استظهر برخصة صادرة من جهة رسمية»[4] فالذين يحاولون إعادة الجزائر إلى فترات تاريخية ما قبل الفتح الإسلامي هي محاولة لإعادتها إلى عهد القبيلة «ومن هؤلاء من مجّد يوغرطة وعهده واعتبر المجتمع الجزائري استمراراً لمجتمع عهد يوغرطة...ونؤكّد نحن أنّ مقولة هؤلاء تتفق مع مقولة كتّاب مصر القائلين بالفرعونية، وكتّاب لبنان القائلين بالفينيقية، وكتّاب العراق القائلين بالأشورية، وجميع هذه المقولات تتفق في أنّ المجتمعات المذكورة لا تبدأ من الإسلام وإذا كان دعاة الفرعونية والفينيقية والآشورية لهم مبررات دينية (وهي الوقوف ضدّ الإسلام والعربية) فما مبررات دعاة "جزائر" ما قبل الإسلام»[5]، إنّ يوغرطة لم يكن يتكلّم لغتنا ولا يدين بديننا و لم تكن قيمه وعاداته وتقاليده هي هي قيمنا وعاداتنا وتقاليدنا لماذا إذن يريد أنصار يوغرطة أن يفرضوا (قبيلته) على سكان الجزائر، إن السياسة البربرية لفرنسا في الجزائر هي سياسة ظهرت مع بوادر الحركة الوطنية التي كانت تهدد الوجود الاستعماري

[1]- سعد الله(أبو القاسم)، **حاطب أوراق**، الجزائر:عالم المعرفة، 2011، ص 287.

[2]- مقابلة شخصية مع الأستاذ مصطفى نويصر، أستاذ جامعي وباحث في التاريخ، مركز البحث في الحركة الوطنية وثورة أوّل نوفمبر، الجزائر، 26 مارس 2015، العاشرة صباحا.

[3]- أفكار جامحة، المصدر السابق، ص 11.

[4]-أفكار جامحة،المصدر السابق، ص 14.

[5]-نفسه، ص 16.

وقد حوّلت فرنسا البربرية إلى ورقة سياسية لتمزيق صفوف الثوار الجزائريين الذين أعلنوا الثورة على فرنسا هذه السياسة جعلت سعد الله يتوجّس خيفة من القضية الأمازيغية في عهد الاستقلال «...إنّ بعض المواطنين يجهلون أو يتجاهلون ما يعرف بالسياسة البربرية لفرنسا في الجزائر، وهي سياسة ظهرت مع بواكير الحركة الوطنية التي كانت بالطبع تهدّد الوجود الاستعماري، أي منذ أواخر القرن الماضي وقد ارتبطت تلك السياسة بأختها في المغرب متمثلة في الظهير البربري، وفي تونس متمثلة في المؤتمر الأفخاريستي وهي سياسة ثالوثية متزامنة، كما يعرّف ذلك دارسو الحركة الوطنية، على مستوى المغرب العربي ولذلك فإن ظهور أي دعوة الآن في هذا المجال ولو كانت بريئة يجعلها مشبوهة، لأنّها تعيد إلى الأذهان ذلك الماضي البغيض»[1].

وكان تكريس لغة جامعة توحّد الجزائريين هاجسا أرّق سعد الله ولا يمكن أن تتجسد هذه اللغة الجامعة إلاّ في اللغة العربية فعندما طالب البربر أن تكون القبائلية لغة وطنية ورسمية وأنّ الشعب الذي يتكلّم لغات خير من الشعب الذي يتكلّم لغة واحدة وهنا يقول : «إذا كان شعب بلاد ما يتحدّث أكثر من لغة وطنية ورسمية فهذا لم يعد شعبًا واحدًا وإنّما مجموعة شعوب وعليها أن تنفصل بعضها عن بعض، والبربرية أصبحت هي القبائلية ثمّ أصبحت عندهم هي الأمازيغية، ولكن أين تراثها المكتوب الذي ستستخدمه كمرجعية للفكر واللغة والأدب والتاريخ؟! إنّ الجزائر لها أكثر من لغة فلكلورية عربية وبربرية، أما اللغة الوطنية والرسمية فواحدة ويجب أن تكون واحدة وهي العربية »[2].

ثم تراجع سعد الله عن موقفه وأصبح ينظر إلى القضية البربرية بعين موضوعية خاصة بعد تواصله المباشر مع الثقافة الامازيغية واهتمامه بمنطقة زواوة في إطار مشروعه تاريخ الجزائر الثقافي وزيارة العديد من أماكنها والاتصال بعلمائها وإطلاعه على التراث الأمازيغي المرتبط بالحضارة العربية الإسلامية وبدأ يتحدث عن ظاهرة التعايش بين اللغتين العربية والأمازيغية وثبت عنده أن «الدراسات التاريخية أن العربية والأمازيغية تعايشتا واستعارتا من بعضهما وتقاسمتا حياة الازدهار والانحطاط، فهل ذلك يعود إل أصولهما الواحدة؟ أو إلى دور الإسلام؟ إن الدارسين ما يزالون لا يجدون تفسيرا علميا لسرعة استجابة البربر للإسلام واتخاذ العربية لسانا لهم»[3] وأكّد على أنّ جذور الشعب الجزائري عربية وأستشهد بأدلة وهي تشابه لهجتهم مع اللغة العربية «... فقد أثبت الشيخ أبو يعلي الزواوي أن أصل البربرية هي اللغة الحميرية (أو اليمنية القديمة) وقد عرفت حين ذهبت إلى اليمن أن هناك بلدة في جهة حضر موت يتحدث أهلها لهجة تشبه البربرية عندنا، وأنّ أحد الجزائريين ذهب إلى هناك وتفاهم معهم بالبربرية»[4] وبالرجوع إلى الكتب والمراجع يتضح لنا أنّ معظم العلماء

[1]- في الجدل الثقافي، المصدر السابق، ص 151.

[2]- مسار قلم، ج 7، المصدر السابق، ص-ص (24-25).

[3]-في الجدل الثقافي، المصدر السابق، ص 146.

[4]- نفسه، ص 148 .

الذين خدموا اللغة العربية والشريعة الإسلامية كانوا أمازيغاً وبربرًا مثل :ابن تاشفين، ابن تومرت وأبو حمو الثاني وغيرهم ...

الفصل الثالث

خصائص فن الكتابة والتأليف التاريخي عند سعد الله

- آثار الشيخ سعد الله المرتبطة بالتأريخ
- الكتابات التاريخية لأبي القاسم سعد الله

1. آثار الشيخ سعد الله المرتبطة بالتأريخ

أ. قراءة وصفية عامة لآثاره وتآليفه في اختصاص التاريخ وما يتصل به

- **في باب التحقيق التاريخي:** إنّ العناية بالتراث القومي والوطني من المشاريع المهمة التي اشتغل عليها سعد الله بمبادرة فردية منه، وقدَّم عملاً ضخماً لا تقوم به عادة في الأمم المتقدمة سوى الهيئات العلمية والمؤسسات البحثية التي تمتلك الوسائل المالية والبشرية الكفيلة بتحقيق أهداف علمية بهذا الحجم[1]، فاهتم بالمخطوطات التي تتصل بحياة الجزائر والمغرب العربي عبر القرون الأربعة الماضية وتحمَّل جهودًا شاقة وتعبًا كبيرًا في تحقيق وإخراج النص للحياة وهنا يقول: «لو قيل لي عن التعب الذي سيصادفني من جراء تحقيق هذه المخطوطة –رحلة بن حمادوش- قبل الإقدام عليه لما صدّقته أو لما أقدمت عليه أصلاً، وعلى كل حال فقد أصبحت الآن لا أغبط المحققين للنصوص القديمة تحقيقًا علميًا، لأنّهم بدون شك يعانون الكثير ويربحون القليل، وكل جزاءهم فيما يبدو هو رضي النفس والوفاء لصاحب النص وراحة الأجيال»[2]. وللأستاذ سعد الله سجل حافل من الأعمال التي قام بتحقيقها ومن بين هذه المخطوطات التي حققها: **(مختارات من الشعر العربي**، جمع المفتي أحمد بن عمار)، و(**رحلة عبد الرزاق بن حمادوش**- لسان المقال)، و(**منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية** لشيخ الإسلام عبد الكريم الفكون) الذي: «يعالج مشكل الإصلاح السلفي والثورة على التصوف الخرافي ويدخل في النقد الاجتماعي والديني من بابه الواسع»[3]، وله أيضاً (**تاريخ العدواني**، لمحمد بن محمد بن عمر العدواني)[4] أو كتاب الأخبار في القصص عن نسب بعض الأوطان وعمارة سوف وأجوبة عن مسائل وفوائد شتى لا يعتبر تاريخ العدواني لمؤلفه محمد بن محمد بن عمر العدواني (من أهل القرن 11هـ/17م) من المصنفات التاريخية الصّرفة، والتي اهتمت بشكل أو بآخر بتاريخ الجزائر بل إنّه يصنف ضمن التاريخ المحلي لمنطقة وادي سوف وحواليها، كتب باللغة الشعبية والتي هي أقرب ما تكون إلى العامية منها إلى الفصحى، ولهذا الكتاب قيمة تاريخية كبيرة تعرض للحروب القبلية على الطريقة القديمة، والصراع من أجل البقاء وأمور أخرى كثيرة، ويعتبر من المصادر المهمة التي حوت أخبار عن الجزائر وتونس وليبيا وحتى المشرق العربي، ومن الأمور التي حفَّزت سعد الله على تحقيق هذا الكتاب هو أنّ العدواني عاش في عصر غاب فيه التدوين التاريخي

---

[1]- عبد القادر شرشار، **أبو القاسم سعد الله محققا وناقدا**، www.difaf.net.

[2]- عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، **رحلة ابن حمادوش الجزائري**، تحقيق وتقديم وتعليق: الدكتور أبو القاسم سعد الله، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1983، ص19.

[3]- سعد الله (أبو القاسم)، قضايا شائكة، المصدر السابق، ص102.

[4]- محمد بن محمد بن عمر العدواني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1966م.

في الجزائر[1]، ومن تحقيقاته (**رسالة الغريب إلى الحبيب** لأحمد بن أبي عصيدة البجائي)، و(**حكاية العشاق في الحب والاشتياق**، للأمير مصطفي بن إبراهيم باشا)[2] التي كانت أول رواية شعبية جزائرية كتبت سنة 1849م.

- **في باب التأليف التاريخي:** له مؤلفات قيمة وكثيرة هي: (أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر)[3] الذي كتبه: «في فترات متباعدة يعود بعضها إلى بداية الستينات ويعود آخرها إلى الشهور القريبة...وقد أشفقت على هذه الأبحاث والمقالات أن تظل متفرقة، رغم شدة الحاجة إليها أحيانًا فجمعتها على هذا النحو وقدَّمتها للمطبعة عسى أن يعود إليها الباحثون في تاريخ الجزائر والدارسون لتاريخ المغرب العربي عامة»[4]، من مؤلفاته: (قضايا شائكة)[5]: وهو جملة أحاديث أدلى بها الأستاذ سعد الله في مناسبات عدة إلى جرائد وطنية وأخرى دولية تعرض فيه إلى «نقاط شتى من هموم الإنسان العربي المعاصر...وقضايا الأدب والتاريخ والفكر»[6]، و(أفكار جامحة)[7] الذي «يحتوي ... على أبحاث ومقالات في أغراض ثقافية وأدبية وفكرية شتى، وهو يشبه في ذلك زميله (منطلقات فكرية) إلى حد كبير، ومع ذلك فهناك فرق بينهما في التناول والتنوع»[8]، ومن أهم المواضيع التي تناولها هذا الكتاب هو: حدثونا عن الوحدة، مدارس الثقافة العربية في المغرب العربي، أثر الجزائر في الأدب الأمريكي، ولعنة ميرانت..... التي خلفت ردود فعل كثيرة. له أيضاً (حوارات)[9] الذي يحتوي على تسعة وعشرين حوارًا أجراها سعد الله مع صحفيين ومراسلين من جرائد ومجلات جزائرية وأخرى عربية معظمها مستوحاة من «المرحلة التي عاشتها البلاد أو سلَّطت فيها الأضواء»[10] على سعد الله لسبب أو لآخر، وقد فضَّل فيه أن يتبع طريقة المراحل عند ترتيب هذه الحوارات «فبدأت بالأقدم وانتهى بالأحدث؛ أوّلها سنة 1976م وآخرها 2004م حتى يستطيع من يتابع موقفي من قضايا الساعة تسلسل وتطور الأحداث التي عرفتها الجزائر والوطن العربي والأمة العربية والإسلامية....»[11]، وكان من المفروض أن يكون (حوارات) في القسم الثاني من (القضايا الشائكة) ولكن طول المدة بين الكتابين واختلاف الأجواء والأمزجة جعل سعد الله يصدر هذه المجموعة تحت عنوان مستقل هو (حوارات) معتقدا أنّ فنّ الحوار من أفضل أنواع التعبير الدَّال على حقيقة

---

[1]- شرف عبد الحق، "**جهود الدكتور أبو القاسم سعد الله في تحقيق التراث الجزائري**: نماذج مختارة"، عصور الجديدة، ع: 13، الجزائر: القدس العربي، 2014، ص-ص(303-304).

[2]- تأليف الأمير مصطفى بن إبراهيم باشا، ط2، الجزائر، 1982م.

[3]- دار البصائر، الجزائر، 2007م.

[4]- المصدر نفسه، ص5.

[5]- عالم المعرفة، الجزائر، 2011م.

[6]- المصدر نفسه، ص06.

[7]- عالم المعرفة، الجزائر، 2011م.

[8]- المصدر السابق، ص05.

[9]- عالم المعرفة، الجزائر، 2011م.

[10]- المصدر نفسه، ص 07.

[11]- نفسه، ص08.

أغوار النفس الإنسانية، وله تآليف تاريخية شيقة أخرى منها(خارج السرب)[1] الذي احتوى على مقالات وخواطر متنوعة تناولت مواقف وأنشطة عاشها المؤلف، فهناك مقالات عن اللغة العربية والتعريب وأخرى عن التثاقف والحوار والتاريخ والعولمة وثالثة عن بعض الأشخاص الذين لعبوا دورًا في حياته[2]، و(منطلقات فكرية)[3] فكرية)[3] وهو أيضاً «مجموعة من المقالات والأبحاث عن الثقافة القومية في الجزائر والوطن العربي وإفريقيا والصين..وهذه المقالات والأبحاث في الواقع تتمحور حول قضايا الثقافة القومية في الوطن العربي والجزائر[4] والجامع المشترك بين هذه المقالات والأبحاث هو الرغبة في الكشف عن (منطلقات فكرية) يؤديها اعتبار الماضي وتراد منها آفاق المستقبل فهي جميعا تتناول قضية الثقافة القومية..وخيرة هذه الثقافة هناك بين تيارات متعارضة بل متصارعة..وتكشف عن موقف الإنسان من قضايا عصره»[5]، و(الحركة الوطنية الجزائرية)[6] الذي كان أول أول دراسة أكاديمية متكاملة وكان قد أعدّها للحصول على الدكتوراه في جامعة مانيسوتا الأمريكية ويتألف من ثلاث أجزاء [الجزء الأول (1830-1900م) والجزء الثاني (1900-1930م) والجزء الثالث (1930-1945م)] يقول سعد الله عن الجزء الأول من هذا الكتاب: «لهذا الجزء من الحركة الوطنية قصة، فقد صدر الثاني منذ 1969م والثالث منذ 1975م و لم يصدر هذا الأول، وإذا كان المنطق يقتضي البدء بالجزء الأول، فإن هناك عوامل جعلت سلسلة الحركة الوطنية تخرج على هذا النحو من عدم الانتظام»[7]، تطرق المؤلف في مقدمة هذا الكتاب إلى قصة تأليفه للكتاب وضياع جزء منه أثناء سفره للخارج، كما أنّ مؤلفه هذا تزامن مع تأليفه لكتاب تاريخ الجزائر الثقافي، كما كان لسعد الله السبق في تراجم أعلام الجزائر قديمًا وحديثًا وإبراز جهودهم، والتعريف بآثارهم حيث خصّ عددًا منهم بمؤلفات مستقلة، أحاط في كل كتاب منها بالجوانب المختلفة لحياة المترجم له، وعرّف بتراثه الفكري، وأبرز كلّ ما يتعلق به من قريب أو بعيد وهذه الكتب هي[8]: (شاعر الجزائر الجزائر محمد العيد آل خليفة)[9] وهو في الحقيقة كان مشروع مذكرة ماجستير لم تناقش تقدم بها في كلية الآداب بجامعة القاهرة، وعند نشره تولى تصديره الإمام محمد البشير الإبراهيمي، حيث أشاد به وبصاحبه الذي سجل شغفه إلى حدّ الافتتان بالبحث عن الآثار الأدبية والعلمية لعلماء الجزائر في جميع العصور[10]، وفي هذا

[1] - عالم المعرفة، الجزائر، 2011.

[2] - المصدر نفسه، ص07.

[3] - عالم المعرفة، الجزائر ،2011م.

[4] - منطلقات فكرية، المصدر السابق، ص 50.

[5] - المصدر نفسه، ص 60.

[6] - ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م.

[7] - المرجع نفسه، ص05.

[8] - نجيب بن خيرة، المرجع السابق، ص343.

[9] - دار المعارف، مصر، 1976م.

[10] - المرجع نفسه، ص03.

الكتاب فصّل سعد الله القول في حياة محمد العيد، وأبرز العوامل التي كونّت شخصيته، وأورد آراءه وتجاربه، كما تحدَّث بالتفصيل عن شعره من حيث تطورّه وأغراضه ومنزلته.

كما ترجم لـــ(محمد الشاذلي القسنطيني)[1]وركَّز على رسائله وشعره، حيث عالج في هذا الكتاب سيرة المؤلف وعصره، ورحلاته إلى أوربا، ومراسلاته وبعض مواقفه، وحتى عن علاقته بالأمير عبد القادر، و(المفتي الجزائري محمود بن العنابي)[2] الذي يعتبر من «أوائل العلماء المسلمين الذين طرحوا قضية التجديد في النظم الإسلامية أوائل القرن التاسع عشر ميلادي»[3]، وتناول فيه سعد الله بالدراسة التحليلية المستقصية عصر وحياة وآثار الشيخ محمد محمود بن محمد بن حسين الجزائري الشهير بـــ(بن العنابي) (1189-1267هـ) صاحب كتاب "السعي المحمود في نظام الجنود" وغيره من المؤلفات القيّمة[4]، و(الطبيب الرحالة بن حمادوش) "حياته وآثاره"[5] وهو دراسة تتناول عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري في حياته وآثاره الموجودة[6] وقد كتب أبو القاسم عنه بحثا بعنوان "عبد الرزاق بن حمادوش ورحلته لسان المقال" وبحث بعنوان "رسالة في الكرة الفلكية لابن حمادوش" وقام بتحقيق ونشر رحلته "لسان المقال"، إنّ تعريف الشيخ سعد الله بعلماء الجزائر وإظهار جهودهم وفكرهم ومؤلفاتهم« بمثابة الدعوة إلى معرفة الذات لإدراك الواقع وتجاوز الحصار الفكري والثقافي القائم والتطلع إلى خوض غمار المساهمة الحضارية على غرار بقية الشعوب، وأن لا يقتصر معرفتنا على أعلام الشرق والغرب ونسيان كنوزنا المحلية وكأننا نتجاهل ذواتنا»[7].و(مسار قلم-يوميات[8]) الذي صدر في ستة أجزاء بالإضافة إلى جزء سابع صدر مؤخرًا عن عالم المعرفة سنة 2015م، والكتاب يضم يوميات أبو القاسم سعد الله التي بدأ بكتابتها في القاهرة في فيفري 1956م، إنّ هذه اليوميات لا تكشف عن أسرار، وإنما تعبر عن حياة طالب جزائري أيام الثورة الجزائرية التحريرية عن طالب كان يعيش الغربة في عاصمة عربية كانت مخبرا لصناعة القرارات العربية[9]، وقد تردد الكاتب طويلاً في طبع يومياته هذه إلا أنه قرَّر طبعها لما وجد فيها الفائدة الفائدة للجيل اللاحق الذي سيكون أكثر تعطشًا للتعرف عن تراث أجداده، وأسلوب كتابة هذه اليوميات بسيط جدًا لا تكلف فيه، فكأنه أسلوب قصة قصيرة تراكيبها تعبر عن حكاية شفوية، ولا وجود لانطباع شخص في أغلب ما يروى فيها ولا استنتاج إنما هو السرد ورواية الحدث أو الخبر[10].

---

[1] - الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1974م.

[2] - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977م.

[3] - المرجع السابق، ص53.

[4] - نجيب بن خيرة، المرجع السابق، ص344.

[5] - ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.

[6] - أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة ابن حمادوش الجزائري، ص05.

[7] - حميدي أبو بكر الصديق، **"قراءة في الإنتاج الفكري للدكتور سعد الله"**، عصور الجديدة، ع:13، الجزائر: دار القدس 2014م، ص254.

[8] - عالم المعرفة، الجزائر، 2011م.

[9] - مسار قلم، ج1، المصدر السابق، ص06.

[10] - المصدر نفسه، ص07.

ومن تآليفه التي نالت رواجاً كبيراً في الأوساط المثقفة محلياً ودولياً موسوعته (تاريخ الجزائر الثقافي)[1] التي التي ضمَّت عشرة أجزاء غطت في سلسلتها الأولى المرحلة الزمنية الممتدة من (1500م إلى 1962م)، حيث استغرق هذا العمل ما يقارب الربع قرن (1974-1999م)، في البداية صدرت له طبعتان في الجزائر في جزأين، الأول سنة (1981م) والثاني سنة (1985م) وكانا متعلقين بالعهد العثماني أمّا بقية الأجزاء فقد خصصت بالعهد الفرنسي أي الجزأين الثالث والرابع وربما الخامس في حالة الضرورة مع نهاية الثمانينيات (1989م) ولكن ما حدث له وهو عائد من أمريكا إلى الجزائر في صائفة 1987م وسرقة محفظته بما فيها من وثائق ومادة محررة فتأخر إنجاز العمل، لعدة سنوات فتفرغ لمدة ثلاث سنوات (1993-1996م) في جامعة مينيسوتا لإنجاز القسم المتبقي من تاريخه الثقافي.

وعن سبب كتابته لتاريخ الجزائر الثقافي يقول: «...إنّ أكبر حاجز يحول دون عملية التذويب هو الشخصية الثقافية الوطنية، ومن ثمّ كانت حربهم الشرسة ضد اللغة العربية، وضد الإسلام كحضارة وضد اتصال الجزائر بالثقافة العربية المتطورة بالمشرق العربي بدعوى أنّ هذه الثقافة أجنبية على الجزائر، وهناك عامل شخصي يتمثل في أنّني بدأت حياتي مهتما بالأدب وعندما تخصصت في التاريخ ظلت جاذبيتي نحو التاريخ الثقافي أكثر من التاريخ السياسي....ومن جهة أخرى لاحظت أثناء دراستي الجامعية بالمشرق العربي وعدم اهتمام الدارسين بمساهمة الجزائر في الحضارة العربية الإسلامية فدفعني ذلك إلى البحث والتنقيب إلى أن توصلت إلى ما في الكتاب»[2]، وتعتبر معلمة تاريخ الجزائر الثقافي: « تعبيرا صادقا عن مواقف سعد الله وصورة أمينة لقناعاته، إضافة إلى كونها تحديا لواقع التأليف المثبط ومهمة البحث الصعبة في جزائر الاستقلال»[3]، بدأ سعد الله الله موسوعته بإهداء كتابه إلى جيل مابعد الثورة « لقد كان المؤلفون في القديم يهدون كتبهم إلى الملوك والأمراء والأعيان والوزراء، أمّا أنا فإني أهدي هذا الكتاب إلى جيل ما بعد الثورة، إلى أطفال الجزائر اليوم الذين سينشرون غداً كنوز الثقافة العربية الإسلامية لبلادهم ويثرونها بإنتاجهم»[4].

وقد طرح عليه أحد الصحفيين من أسبوعية الحقائق عن دوافعه من الإهداء وقد أجابه: «أهديت كتابي إلى جيل ما بعد الثورة، وهو جيل غير محدد بالزمن، وأعني به: الجيل الذي سيكفّر عن ذنوب آبائه ويرفع قدر الجزائر من جديد كما كان في عهد الثورة، ويحقق لما عجز عنه آباؤه من وحدة وتقدم ورخاء»[5]، بعد الإهداء نوه بشكر لمن ساعده في عمله العلمي بدءا ببعض الشيوخ والدكاترة من مغاربة ومشارقة والمؤسسات الوطنية وغير الوطنية التي لا يسع المجال لذكرها هنا وفي نهاية شكره نوّه بدور حرمه التي أملت عليه معظم فصول الجزء

---

[1]- عالم المعرفة، الجزائر، 2011م.

[2]- قضايا شائكة، المصدر السابق، ص17.

[3]-سعيدوني(ناصر الدين)، **في الحراك الثقافي والتفاعل الفكري**، الجزائر: البصائر الجديدة، 2012م، ص96.

[4] - **سنعتمد نسخة:** سعد الله(أبو القاسم)، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، الجزائر: عالم المعرفة، 2011، ص05.

[5] - حاطب أوراق، المصدر السابق، ص 276.

الأول، ودلته أثناء البحث على مراجع وساهمت معه في مناقشة الأفكار ووضع الخطة وترجمة بعض العبارات الأجنبية كل هذا إيمانا منها برسالة زوجها الثقافية الوطنية.

الكتاب قُسِّم إلى عشرة أجزاء فالأول خصّ الفترة العثمانية (1500-1830م)، تضمن ستة فصول هي: تراث القرن 15م، التيارات والمؤثرات، المؤسسات الثقافية، التعليم ورجاله، فئة العلماء، المرابطون والطرق الصوفية، والجزء الثاني خصّ أيضاً الفترة العثمانية (1500-1830م) وتضمن ست فصول هي: العلوم الشرعية، علم الكلام، التصوف والمنطق، علوم اللغة والنثر الفني، الشعر، والتاريخ والتراجم والرحلات، العلوم والفنون، وفي الجزء الثالث وبقية الأجزاء الأخرى خصّت الفترة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر (1830-1962م) وقد تضّمن هذا الجزء مقدمة وثلاث فصول هي: التعليم في المدارس القرآنية والمساجد، التعليم في الزوايا والمدارس الحرة، التعليم الفرنسي والمزدوج وفي الجزء الرابع تناول عدة مباحث هي: الطرق الصوفية، والسلك الديني والقضائي، وفي الجزء الخامس تناول فيه أربعة فصول وهي: المعالم الإسلامية والأوقاف، المنشآت والمراكز الثقافية، الجزائر في المغارب والمشارق، وتضّمن الجزء السادس ثلاثة فصول هي الاستشراق والهيئات العلمية والتنصير، الترجمة وظهور النخبة الاندماجية، مذاهب وتيارات، والجزء السابع أربعة فصول تناول فيها العلوم الدينية والعلوم الاجتماعية، والعلوم التجريبية، والتاريخ والتراجم والرحلات، كما تضمن الجزء الثامن ثلاثة فصول وتناول فيها اللغة والنثر الأدبي، وفصلاً خاصًا لتاريخ الجزائر الثقافي أثناء الثورة وهي: عشية الثورة، الثقافة في نصوص الثورة، التعليم والتنظيمات الطلابية، المسرح والموسيقى والغناء، السينما والرسم والمكتبات والخطاطة والمتاحف، كتب وكتابات ومواقف وآراء، أما الجزء العاشر فقد خصّصه للفهارس العامة والمراجع المعتمدة في الدراسة هذه الموسوعة الثقافية وتضمن مقدمة ومعجم المصطلحات، فهرس الأشخاص وفهرس الأماكن وفهرس الكتب والدوريات والجرائد، فهرس الشعوب والقبائل والأقوام، فهرس الأحزاب والجمعيات والمؤتمرات، فهرس المؤسسات والمراكز الدينية والفنية والثقافية، كما شمل ملحق للصور ومقدمة باللغتين الانجليزية والفرنسية.

- **في باب المقالات والملتقيات:** ساهم مترجمنا بمقالات ودراسات تاريخية وأدبية كثيرة وآراء في قضايا ثقافية وسياسية عربية وإسلامية ومغاربية وجزائرية ذلك «إنّ المثقف المعاصر (حسبه) يجب أن لا يغض بصره على ما يجري في العالم من أحداث -ولو كانت بعيدة عنه جغرافيًا وإيديولوجيًا- ويدّعي أنّه غير معني بها أو أنّها من شأن أهل السياسة وصنّاع القرار وحدهم»[1]. ومن أهم المقالات (عذرًا يا عراق) جاء في بعضه: «إذ تركناك وحدك تواجه الدّمار الشامل، ولم نسق إليك النّجائب والرّكائب، لتدفع عندك غائلة الأعداء، كما يقتضي واجب العروبة والإسلام، وكما تتطلبه روابط الأخوة وأواصر التاريخ»[2]، ومنها: (أشباه الرجال على

[1] - حصاد الخريف، المصدر السابق، ص06.

[2] - هموم حضارية، المصدر السابق، ص 95.

إثر الاجتياح الإسرائيلي لبيروت)[1]، و(يخربون بيوتهم.....في السودان)[2]، و(قراءة في كتاب "المحاكم الإسلامية والسلطة الاستعمارية في الجزائر) للبروفسور آلان كريستيلو التي استهّلها بـــ «لو اقتصر احتكار الفرنسيين لتاريخ الجزائر على الفترة الاستعمارية لكان الاحتكار مبرر مؤقتًا على الأقل، ولكن إذا أصبح احتكارهم عامل لكل تاريخ وينذر بالخطر، فقد أصبح اسم "قزال" علمًا على تاريخ الجزائر القديم (بل المغرب العربي كله) وأصبح (غوتييه) علما على تاريخها المعاصر، بل إنّ اسم (جوليان) أصبح ملتصقا بتاريخ الجزائر في جميع العصور لأنّه كتب عن الجزائر (وشمال أفريقيا) في مختلف العصور، ولكن هل هذا الاحتكار (أو الاحتواء بالمعنى السياسي) ظاهرة طبيعية؟ ألا يبرهن على استمرار المدرسة الاستعمارية في السيطرة على الدراسات التاريخية عندنا؟ وما معنى الاستقلال السياسي إذا كان تاريخيا ما يزال مستعمر؟» وقد تناول في مقالاته قضايا حساسة من حياتنا السياسية بأسلوب غير سياسي مثل: "خلفيات الأزمة الجزائرية"، "أتيناك طائعين" و "التاريخ في حياتنا".

ومن المقالات الهامة الأخرى التي نشرها في جرائد ومجلات وقد تمَّ جمعها في كتب ليسهل على القارئ إيجادها وهي: "الخوف من التاريخ، "حدثونا عن الوحدة"، "تساؤلات حول المنظومة التربوية"، "في أعماق الأوراس"، "بين العرب وفرنسا/براقش"، "حفل في ميزاب"، صديق العدو"، "حول خطاب الرئيس"، " عنصرية دولية"، من الثورة إلى الإصلاح إلى ..." ومقالة "الحاج ديكارت" مقالة مزلزّلة حول الدور التغريبي لثانوية ديكارت فضح بها التيار الفرنكفوني التغريبي في الجزائر، و"القضية المريضة" و"التاريخ قضية كبيرة في الجزائر" و"عودة إلى مجمع الخالدين"...ومازالت القائمة طويلة، ومن خلال هذه المقالات يتّضح لنا أن هناك قضايا مهمة شغلت فكر سعد الله وهي قضية اللغة العربية ومسألة التاريخ، «كنت أقف إلى جانب اللغة العربية وحرية الرأي إلّا في ثلاث مقدسات عندي هي وحدة الجزائر، الدين الاسلامي واللغة العربية»[3].

وعندما نتتبع مسيرة أبو القاسم سعد الله خلال مشواره العلمي والتدريسي نجد أنه شارك في عدة ملتقيات جزائرية وعربية ودولية وقد كان يرفض الإذاعات الجهوية ويقول:«تشجع الثقافة المحلية والأبطال المحليين على حساب الثقافة الوطنية والأبطال الوطنيين»[4]، ففي سنة 1984م حضر الملتقى الثامن لكتابة تاريخ الثورة من تنظيم المنظمة الوطنية للمجاهدين فلاحظ فيه بعض المشاكل من بينها الإقليمية التي ظهرت في خطاب بعض المتكلمين من المجاهدين القدامى ومنها النزاعات الحزبية الضيقة انطلاقاً من الانتماءات القديمة[5]، وسنة 1975م رفض حضور مؤتمر المؤرخين الإفريقيين لأنّ أعضاء الوفد سيذهبون للتنزه لا للمشاركة العلمية، كما حظر مؤتمر الفكر الإسلامي لكنّه صدم بمستوى البحوث والتدخلات لأنّ التركيز كان على المذاهب

[1]- أفكار جامحة، المصدر السابق، ص 152.

[2] - حبر على ورق، المصدر السابق، ص129.

[3]- سعد الله (أبو القاسم)، **خارج السرب**، الجزائر:عالم المعرفة، 2011، ص103.

[4]- مقابلة شخصية مع السيد مراد وزناجي، كاتب وإعلامي، مركز البحث في الحركة الوطنية، 26 مارس 2015م، التاسعة صباحاً.

[5]- مسار قلم، ج5، المصدر السابق، ص82.

والخلافات الطائفية[1] «ملتقيات توصف بالدولية وهي في حقيقتها شوفينية سافرة»[2]، وفي سنة 1982م ترّأس جلسة ملتقى وطني عن تاريخ المقاومة الجزائرية خلال القرن الماضي ولكنّه لم يشترك فيه ببحث ويقول أبو القاسم سعد الله عنه «...كنت أنوي عدم المشاركة فيه تماما، ذلك أنّ الذين خططوا له أول مرة نظروا إليه نظرة إقليمية فجعلوه خاصا ببوعمامة ثم تدخلت جهات واقترحت تعميم المقاومة، .... ولذلك جاءت موضوعات الملتقى كلها تقريبا حول أولاد سيدي الشيخ، ولم توزع على المقاومة، وأنا لا أحب الإقليمية»[3]، ومن أهم الملتقيات التي حضرها: (مؤتمر الاحتفال بمرور مئة سنة على وفاة كارل بروكلمان في برلين سنة 1968م)[4] و(مؤتمر أدباء وكتاب المغرب العربي 1969م بطرابلس –ليبيا- وكان رئيسا للوفد)، و(مؤتمر تاريخ الجزيرة العربية بالسعودية سنة 1977م)، و(مؤتمر الكتّاب العرب بدمشق 1971م وألقى فيه بحثا بعنوان (من حضارة الشعر إلى حضارة العلم)[5]، و(ملتقى السادس للفكر الإسلامي سنة 1972م بالجزائر وألقى فيه محاضرة عن (مساهمة الجزائريين في النهضة الإسلامية)[6]، و(مؤتمر إتحاد الكتّاب العرب بتونس 1973م)، و(المؤتمر الدولي الدولي لعلم الاجتماع بالجزائر في مارس 1974م[7]، و(مؤتمر الكتّاب الجزائريين 1974م في قصر زيغود يوسف)[8]، و(الملتقى الأول للبحث العلمي الذي نظّمه المجلس الأعلى للبحث العلمي والتقني في نادي الصنوبر بالعاصمة سنة 1982م، و(الملتقى الأول لتاريخ الثورة الجزائرية من باتنة سنة 1989م)[9]، و(مؤتمر الأدباء والكتاب العرب السابع عشر بعنوان: (الأدب العربي وقضايا العصر)[10]، و(مؤتمر المستشرقين الأمريكيين الذي تنظمه سنوياً جمعية دراسات الشرق الأوسط يوم 1993/11/11م[11]، و(الملتقى الأول لتاريخ الثورة الجزائرية بباتنة وحضر أشغال اليوم الأخير وألقى كلمة قصيرة ثم ترّأس الندوة التي شارك فيها عدد ضخم من المجاهدين والأساتذة، كان موضوعها ماذا بقي من الثورة بعد 35 سنة[12].

ب. **قراءة وصفية عامة لآثاره وتآليفه في باب الترجمة والرحلة والترحال وما يتصل بهما**

- **في باب الترجمة وخصائص الفعل الترجمي:** الترجمة عند أبو القاسم سعد الله فن وهواية، فن لأهل الاختصاص يخضع لقواعد وأساليب الفن بمعنى العلم وهواية فهي اختيار شخصي يستمتع به من يتخذها صنعة

[1]- مسار قلم،ج5،المصدر السابق، ص95.
[2]- حصاد الخريف، المصدر السابق، ص81.
[3]- مسار قلم،، ج5، المصدر السابق، ص31.
[4]- مسار قلم، ج3، المصدر السابق، ص163.
[5]- نفسه، ج3، ص283.
[6]- نفسه، ج3، ص300.
[7]- نفسه، ج3، ص400.
[8]- نفسه، ج3، ص402.
[9]- مسار قلم، ج5، المصدر السابق، ص 177.
[10]- نفسه، ج5، ص236.
[11]- مسار قلم، ج6، المصدر السابق، ص25.
[12]- مسار قلم، ج5، المصدر السابق، ص 177.

يركن إليها إنها كالموسيقى أو الرّسم تجد استقبالاً حميميًا عند من اختارها والترجمة أداة لتبليغ المعرفة ولكن بأسلوب المترجم الخاص على الرغم من أنّ أصل المعرفة قام بها الغير فإنّ المترجم أيضاً يعتبر نفسه مبدعا حين يقوم بنقل الأصل فهو مشارك للمؤلف في عمله[1] بالإضافة إلى أنّ الترجمة وسيلة ترابط حضاري بين الشعوب سواء كان الترابط سلميا أو حربيا ونجد أنّ أبو القاسم سعد الله «لم يتّخذ الترجمة مهنة، ولكن أحب نقل الأفكار التي تروقني أو التي أعتقد أن فيها فائدة للقراء، وفي هذا الصدد ترجمت كتبا بأكملها أو بحوثا بأكملها وأحيانا لجأت إلى الترجمة الملخصة مع التنبيه على ذلك للأمانة، ولا بدّ من القول هنا أنّني ترجمت عن الانجليزية أكثر من الفرنسية»[2]، ومن أهم أعمال سعد الله هو ترجمته لما كتبه الفرنسيون عن منهجية تاريخ الجزائر، ومنهجية المدرسة الفرنسية في تناولها للتاريخ الجزائري خلال فترة الاحتلال الفرنسي خاصة من الناحية الإيديولوجية وقد نبه إلى مواطن القصور والتزوير المقصود وكشف على ما كتبه الفرنسيون عن الجزائر خلال الفترة الاستعمارية من تقديم انتقاداته له، وأوضح مسيرة تاريخ الجزائر في تلك المرحلة الحرجة ولاسيما أنّها دونت بأقلام أجنبية من قبل أناس هم محتلون لبلادنا من جهة وعلماء وفنيون وقادة الجيش الفرنسي من جهة أخرى، وقد تصدى أبو القاسم لتلك الكتابات وتعرض لها بالتحليل والنقد الهادف والبناء دون المساس بالجوهر[3]، وتتميز خصائص الفعل الترجمي عند سعد الله بثلاث خصائص أساسية هي:

V الخاصية الإبلاغية: إنّ الفعل الترجمي كفعل ثقافي اجتماعي غالبا ما يفقد الحياد على المستوى الفكري والتكافؤ اللغوي التام على المستوى اللغوي، رغم حرص المتّرجم على الحياد والتزام الموضوعية في إبلاغ نصه، وهنا تتضح لنا الخاصية الإبلاغية للمترجم الذي يسعى جاهدا التزام منهجية خاصة يعرف بها إلى جانب التزامه بالمنهجية العامة المتعارف عليها في مجال الترجمة، ويمكن أن نحدد الخاصية الإبلاغية للفعل الترجمي عند سعد الله تتجسد في رؤيته أو إستراتيجيته الخاصة لعلمية الترجمة التي يمكن تلخيصها كما يلي:

§ مراعاة أصول الترجمة العامة: وتتمثل في حرصه على نقل النص المترجم بأمانة ودون تحريف أو تزييف للمتن المترجم، تعكس حرفية ترجمية عالية، تراعي أصول ومبادئ الترجمة.

§ الوفاء لأصالته الثقافية وأصالة وقناعات من يترجم لهم.

§ إتباع منهجية خاصة تقوم بترشيح النص الأصلي المترجم وتنقيته من الأفكار والآراء والأحكام الذاتية أو الإيديولوجية المتعارضة مع الثقافة الهدف أو وضع مرآة تجلو محاسنه وأفكاره النيّرة المثمرة التي تفيد الثقافة الهدف وتمدها بخميزة الارتقاء والتطور[4].

---

[1]- حصاد الخريف، المصدر السابق، ص142.

[2]- وزناجي، المرجع السابق، ص193.

[3]- قدور عبد المجيد،**"أبو القسم سعد الله وتاريخ الجزائر المنقول عن الانجليزية"**، المجلة العالمية للترجمة الحديثة، ع:5، الجزائر: ستاربيب، 2010، ص20.

[4]- بعيطش يحي،**"خصائص الفعل الترجمي عند أبي القاسم سعد الله"**،المجلة العالمية للترجمة الحديثة،ع:4،الجزائر:ستاربيب،2010، ص26.

ذلك أنّ المترجم أصبح يلجأ إلى العتبات الترجمية (paratexte) وهي المواضع التي يمارس فيها فعل التأطير في ترجمات الكتب والمقالات أو هي ما يستخدمه المترجمون والناشرون بالشرح والتعليق والنقد، ودحض بعض أفكار النص المترجم أحيانًا، وللعتبات الترجمية وظيفة مزدوجة فهي وسيلة ترشد القارئ إلى فهم النص المترجم من جهة، وإلى إثارة انتباهه إلى بعض التناقضات أو التجاوزات أو الأفكار المتطرفة المعادية لعاداته وقيمه الثقافية من جهة أخرى، وقد وظّف أبو القاسم سعد الله هذه الخاصية (العتبات الترجمية) توظيفًا واسعًا ليسهل على القارئ فهم النص المترجم، والتنبيه إلى المزالق والانحرافات وغالبًا ما يقدم النص المترجم من خلال التعريف بمؤلفه والظروف السياسية والثقافية والاجتماعية التي ظهر فيها النص، ويلفت انتباه القارئ إلى الأفكار النيّرة أو المنحرفة في النص وإلى الغاية والأهداف التي يتوخاها من ترجمة النص.

v الخاصية التبليغية: تتجسد هذه الخاصية في:

§ علاقته بمبلغ النص الأصلي: كان أبو القاسم سعد الله لا يترجم لمن هبّ ودبّ وإنّما يختار من يترجم عنهم وغالبا ما كان يختار شخصيات عالمية ذائعة الصيت مثل: هنري تشرشل، وآدريان بيير بروجير، ألبير كامي.....

§ علاقته بمحتوى النص الأصلي المترجم: كان هدفه إغماء الثقافة باختياره للموضوعات المتميزة وما تحمله من أفكار وتحليلات جديدة في مجالات الفكر والأدب والثقافة بصفة عامة، وفي مجال الدراسات التاريخية مجال تخصصه الدقيق بصفة خاصة مثال: ترجمته لكتاب مع الأمير عبد القادر تأليف "أدريان بيير بروجير "ومقالة "أدب اللسان الفرنسي لشمال إفريقيا" "لجورج جوايو"، وهو لا يكتفي بالقراءة السطحية للنّص إنّما يقرؤه قراءة عميقة تنفذ إلى روحه وتدرك مراميه ومقاصده في ثقافته الأصيلة لينقل ذلك الفهم الدقيق إلى جمهور المتلقين بأمانة علمية تراعي مضمون النّص الأصلي من جهة لكنّها لا تغفل أو تجاري ذاتية النّص أو انحراف أفكاره جزئياً أو كليًا عن حقائق وقناعات ثقافة أصحاب النص الهدف.

§ علاقته بجمهور المتلقين للنص المترجم:

§ اختياراته للموضوعات التي تخدم المثقف العربي بصفة عامّة والجزائر بصفة خاصة، ولا تتعارض مع ثوابته وقناعاته ولا يتركه تحت تأثير ورؤى وقناعات الثقافة الأصلية التي قد تكون مخالفة لثقافته وحضارته.

v الخاصية البلاغية: تظهر علاقة سعد الله بالوضع المزدوج في اللغة المصدر بصفة عامة وفي اللغة الهدف بصفة خاصة، فهو انطلاقاً من تكوينه التراثي المتين ومن كونه أديبا وشاعرا فإنه يتحسس جماليات الأسلوب في لغة النص الأصلية، ويحرص على صياغته متينة جميلة في النص المترجم.

إنّ الفعل الترجمي عند سعد الله فعل إبلاغي، تبليغي بلاغي بامتياز فهو عملية متكاملة يختار فيها المترجم عنه موضوع الترجمة والصياغة اللغوية المناسبة[1].

[1]- بعطيش يحي، المرجع السابق، ص29.

وقد قام أبو القاسم سعد الله بترجمة العديد من البحوث والمؤلفات والمقالات بعد أن أتقن اللغات الأجنبية منها: (كتاب الجزائر وأوربا)[1] للمؤرخ الأمريكي جون ب. وولف (John B.Wolf) ويعتبر هذا العمل من أهم ما أنتجه أبو القاسم سعد الله في مجال الترجمة التاريخية لقي اهتمام كبير من طرف القارئ الجزائري لأنّه تناول تاريخ الجزائر العثمانية (16-19م)، عالج مؤلف هذا الكتاب العلاقات الأوروبية الجزائرية في حجمها الدولي وفي محتواها الاقتصادي والسياسي، بينما عالج المؤرخون الآخرون هذا الموضوع في الغالب معالجة دينية أو وطنية ضيقة وأوضح فيه دور المنافسة الأوروبية وأثرها في العلاقات الجزائرية ودور هذا التنافس على التجارة والتكتل العسكري والمكانة الإستراتيجية ولاسيما بين فرنسا وبريطانيا وهولندا[2]، كما تحدث عن دور اليهود في الاقتصاد الجزائري بل في السياسة الخارجية الجزائرية وقتذاك ولقد قام أبو القاسم سعد الله بتغيير عنوان الكتاب الأصلي من ساحل الشمال الإفريقي: الجزائر تحت الأتراك إلى الجزائر وأوروبا (1500-1830م).

و(كتاب حياة الأمير عبد القادر[3] the life ABDELKADER)، لهنري تشرشل قام سعد الله بترجمته «لأن ترجمته تجمع إلى الحوادث السياسية والعسكرية عنصرا هاما من حياة الأمير وهو الروح الدينية والمواقف الإنسانية والاجتماعية وهي ثانيا تهتم بالبحث لذاته»[4]، ويقول سعد الله أنّه زار معسكر عاصمة الأمير "وكاشرو" حيث ضريح أبيه وجدّه والكرط، وذلك ليقف على تلك المعالم الحضارية التي رأت الأمير عالما وسلطانا، مما يدل على جدّية أبو القاسم سعد الله ودقته في البحث والتنقيب، ويوضح سبب ترجمته لهذا الكتاب قائلا: «تعود صلتي بهذا الكتاب إلى عدة سنوات مضت عندما كنت أعد رسالتي للدكتوراه، وقد عزمت منذئذ على نقله إلى العربية لاقتناعي بأهميته»[5]، بالإضافة إلى هذين الكتابين ترجم: (كتاب مدينة الجزائر في كتاب إنجليزي قديم الذي طبع بلندن سنة 1731م تحت عنوان "الكامل في تاريخ الجزائر" تأليف جوزيف مورقان، و(شعوب وقوميات-Peoplesand Nationalismes)، و(الجزائر في العهد العثماني Algiers Under the Turks).

ونجد كذلك أنّ سعد الله ترجم كذلك عدة مقالات إلى اللغة العربية أهمها: (أول اتصال للأمير عبد القادر بالبريطانيين والأمريكيين (1835-1836م)، و(الإنجليز واحتلال الجزائر)، و(احتمالات الاتحاد بين الدول العربية بقلم فليب حتي)....

- **في باب الرحلة والترحال:** صنّف الدكتور أبو القاسم سعد الله الرحلات الجزائرية إلى صنفين:

---

[1]- جون ب.وولف، تر: أبو القاسم سعد الله، د.ط، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986م.

[2]- هلايلي حنيفي، **"أبو القسم سعد الله بين ازدواجية التأليف والترجمة"**، عصور الجديدة، ع:13، الجزائر، دار القدس، 2014م، ص268.

[3]- هنري تشرشل، تر: أبو القاسم سعد الله، ط2، تونس، 1982م.

[4]- المرجع نفسه، ص08.

[5]- المرجع السابق، ص26.

§ **رحلات علمية:** كتبها أصحابها بغرض طلبا العلم والزيارة والإطلاع على البلدان عموما، والأخذ عن علمائها وممارسة التجارة أحيانا فيها مثل: رحلة ابن حمادوش.

رحلات حجازية: باعثها أداء فريضة الحج، وهي أكثر وفرة نسبيا مقارنة بالرحلات العلمية ونقسمها إلى: شعرية مثل رحلة بن مسائب، ورحلات نثرية مثل رحلة أبي راس الناصري والورتيلاني).

الرحلات الاستكشافية: قام بها جزائريون بطلب من الإدارة الاستعمارية الفرنسية للأماكن التي لم تخضع بعد للاستعمار مثل : رحلة إلى غات لإسماعيل بوضربة كلّفه بها الحاكم العام راندون، لجمع الأخبار عن أحوال الصحراء[1] ورحلة مصطفي بونمان....

إنّ أبا القاسم لم يكتف بالكتابة عن أدب الرحلة فقد كان هو الآخر رحالة وهذا ما تجلى في كتابه بعنوان "تجارب في الأدب والرحلة" الذي كتب فيه عن بعض الرحلات وفي نفس الوقت كتب رحلاته الخاصة لبعض الأماكن الجزائرية والعربية (المغرب والجزيرة العربية، وخنقة سيدي ناجي) وكذلك رحلات غيره من الشخصيات، يقول سعد الله في مقدمة هذا الكتاب« يضم هذا الكتاب مجموعة من التجارب في الأدب والنقد والقصة والشعر وآراء في الحركة الأدبية في الجزائر والمغرب العربي والوطن العربي على العموم، كما يضم أخبار رحلتي إلى المغرب والجزيرة العربية بالإضافة إلى رحلة أحد الأمراء الألمان إلى عنابة مترجمة عن الانجليزية»[2]، وخلال قراءتنا لكتاب مسار قلم بأجزائه السبع كان أبو القاسم رحالة يأتمّ معنى الكلمة حيث كان يكتب كل ما يشاهده كان مهووسا بالتفاصيل والجزئيات «وهذه هي التي تصنع الفارق ولو لم يهتم لما وصل إلى ما وصل إليه»[3].

2. الكتابات التاريخية لأبي القاسم سعد الله

أ. الكتابة التاريخية

- **أسباب التحول من الكتابة الأدبية إلى التاريخية:** تعتبر أمريكا بالنسبة لأبي القاسم سعد الله نقطة تحوله من الأدب إلى التاريخ، فقد تعرّف في أمريكا على فكر جديد، ليست فيه العنصرية لأنّ اللغة الفرنسية كان فيها جانب من العنصرية، ففي أمريكا اللغة الإنجليزية مقارنة بالفرنسية كانت أكثر تفتحا إلى ما هو أجنبي ومن غير أحكام مسبقة، هذه اللغة فتحت له آفاق أوسع عرفته على ثقافات جديدة وعلى مثقفين وعلماء آخرين وإنتاج جديد مكتوب باللغة الإنجليزية، لم يكن يعرفه من قبل وهنا نقطة التحول وهي الانتقال من الأدب إلى التاريخ[4]، ويقول أبو القاسم سعد الله في هذا الشأن: «وقد وجدت من خلال دراستي، لاسيما وقد حللت بأمريكا تلك البلاد المادية والصناعية الكبرى، أنّ التاريخ هو أفضل ما يشبع فهمي العلمي وتطلعاتي

---

[1]- سعد الله(أبو القاسم)، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج7، الجزائر: عالم المعرفة، 2011، ص461.

[2]- سعد الله(أبو القاسم)، **تجارب في الأدب والرحلة**، الجزائر: عالم المعرفة، 2011م، ص07.

[3]- مقابلة شخصية مع الأستاذ مراد وزناجي، الخميس 26 مارس2015، على الساعة التاسعة صباحًا، بالمركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية.

[4]- مقابلة شخصية مع الأستاذ مراد وزناجي .

العقلية، ففيه الشّك قبل اليقين وفيه التريّث والتثبت قبل إصدار الأحكام، وفيه الموضوعية والاحتكام إلى العلم والضمير، وكل هذه المعايير تستجيب لنوازعي الأولى»[1]، وحاول بأمريكا تغيير جهة الدراسة من "الدراسات الأمريكية"[2]، إلى التخصص في التاريخ والعلوم السياسية لأنّ ذلك يلاءم رغبته الدراسية في هذا البلد[3]، وبسبب ظروف الدراسة بجامعة منيسوتا (أمريكا) وبتأثير المد التحرري، والزّخم الثوري الذي أفرزته الثورة الجزائرية تحول أبو القاسم من معالجة الأدب إلى بحث قضايا التاريخ فكانت دراسته حول الحركة الوطنية (منذ 1900م) وارتباطه بالوسط الجامعي كطالب، ثم كأستاذ بمثابة الانقلاب في توجهاته العلمية[4].

والواقع أنّه حتى ذهابه إلى أمريكا وتسجيله بجامعة منيسوتا ظلّ كثير الاهتمام بالأدب «إذ واضب طيلة أسابيع يحضر محاضرات الأدب الإنجليزي والأمريكي ويشتري الكتب المتعلقة بهاته المادة غير أنّ هناك عوامل عدّة جعلته يركز على التاريخ: أوّلها تتّبعه الداعم لأخبار الثورة الجزائرية، فقد جعلته على حد قوله يهتّم بالقضايا الوطنية، والبحث في تاريخ الجزائر أكثر ممّا اهتم بقضايا الأدب التي تقتضي الهدوء النفسي والعيش تحت ظروف طبيعية»[5]، ثم يرجع هذا الاهتمام بالبحث التاريخي إلى عامل نفسي محض فيقول:« فإنّني أذكر أنّي ذات يوم كنت أتصفح إحدى المجلات الأجنبية فوجدت فيها مقالا عن تاريخ العرب في سردينيا، ولّما كنت إلى ذلك الحين أجهل دور العرب في تلك الجزيرة، فإنّ ذلك كان كافيا للضغط على نفسي لمحاولة اكتشاف تاريخ أجدادي ودورهم التاريخي غير أنّي أحب أن أؤكد بأنه لا تناقض أو تخاصم على الإطلاق بين الأدب والتاريخ فإنّ كثيرا من المؤرخين العالميين قد بدأوا حياتهم كأدباء من قبل أن يكرسوا مواهبهم للتاريخ...إنّ الأدب ضروري للمؤرخ، فمنه يستمد تعبيراته وأساليبه ومنه يتلقى حرارة العمل وانطلاقة الخيال، ولا نبالغ إن قلنا أنّ التاريخ في حد ذاته هو نوع من الأدب يدرسه الناس للمتعة والحكمة والإطلاع»[6].

كما أنّ للثورة الجزائرية أثر في توجيهه ونقله من الأدب إلى دراسة التاريخ فيقول« أمّا ثورة الجزائر فقد أرغمتني على البحث وتطبيق التاريخ أي جعلتني أدرس تاريخ بلادي الذي لم أدرسه من قبل في أي مدرسة أو جامعة، وأتحرق إلى معرفة انجازات الأجداد والآباء وأقارن بينما قدموا به، وبين ما أنجزه الآخرون»[7]، كما يربط إنتاج الأدب بفترة زمنية من العمر هي مرحلة الشباب فالأدب على حدّ قوله: «تعبير عاطفي أو هو

---

[1]- حوارات، المصدر السابق، ص 154.

[2]- تسجل في هذا التخصص لأن دراسته في كلية دار العلوم تجمع بين الآداب واللغة العربية والدراسات الإسلامية... وبعد بضعة أسابيع ... ظهر له أن يتحول إلى التاريخ للمبررات المذكورة ولأنه تخصص غير معروف في جامعة الجزائر ولا في البلاد العربية.

[3]- مسار قلم، ج3، المصدر السابق، ص 28.

[4]- سعد الله، دراسات وشهادات، المرجع السابق، ص 500.

[5]- منطلقات فكرية، المصدر السابق، ص 63.

[6]- المصدر نفسه، ص- ص (63- 64).

[7]- حوارات، المصدر السابق، ص 155.

متصل اتصالاً وثيقًا بالعاطفة[1]، سواء كان شعرا أو قصة أو مقالة، وحرارة العاطفة مرتبطة بالشباب وبمرحلة الوثوب والنشاط الجسماني الإنساني، وكثير من الأدباء كانوا يتوقفون عن الإنتاج بأنواعه في مرحلة متأخرة من أعمارهم للسبب المذكور، فيميلون إلى الهدوء، والركون والتفكير...وقد تتحول طاقاتهم الإبداعية إلى نوع آخر من الإنتاج يتلائم مع المرحلة الجديدة من أعمارهم»[2].

لقد أثمرت مجهوداته العلمية ومطالعاته المتنوعة نزوعه إلى علم التاريخ وحقله الواسع، فالتاريخ عند سعد الله هو مجلى النظر ومحط الرحال فيقول:« أمّا التاريخ عندي، فهو مجلى نظري ومحط رحالي بعد أن جلت في الأدب والشعر واللغة وعلم النفس وغيرها من الفنون والعلوم» فدارس التاريخ يدرك الكثير من تجارب الآخرين، كما يتعرف إلى الكثير من الحقائق، فتتوسع مداركه ويكتسب ثقة في أحكامه ومواقفه كما يكسب بها مسطرة يقيس بها الأشياء، وميزانا يزن به الأمور، فهو المرجع في الحكم على الناس وعلى تصرفاتهم[3]، وكان وكان أبو القاسم قد توقف عن كتابة الشعر في أمريكا وذلك راجع لعدة أسباب منها الضغط الدراسي، وتحضير الأطروحة وكذلك انشغاله بتعلم لغات جديدة، فنجده في هذه الفترة ركّز على الجانب الأكاديمي[4]، فسعد الله أراد بتوجهه نحو دراسة التاريخ أن يسّد فراغا في مجال كتابة تاريخ الجزائر، فقبل أبو القاسم لم يكن عندنا مؤرخين جزائريين ما عدا مبارك الميلي، عبد الرحمان الجيلالي وأحمد توفيق المدني، وهؤلاء يصنفهم أبو القاسم بالهواة وليس المحترفين (الأكاديميين)[5]، إلا أنّه لا ينفي ميوله اتجاه الأدب وهذا ما جاء في قوله: « مازلت مازلت مزدوجا، وهذه الازدواجية، تظهر في تاريخ الجزائر الثقافي، لأنّني أؤمن بأنّ الأدب كنصوص ومواقف وقيم ولغة يحتاجه المؤرخ أشد الحاجة... والنصوص الأدبية التي أنشرها من وقت لآخر عن العهد العثماني تبين كيف يمكن فهم الحوادث التاريخية من خلالها، وعلى هذا فإنّني مازلت على هذه الازدواجية، وأدعو إليها، وإلّا فأيّ مؤرخ هذا الذي لا يعرف كيف يصوغ أفكاره ويقدم مادته للقراء»[6].

ويرى أبو القاسم أنّ الباحث عليه أن يكون على دراية بما يجري في جميع العلوم، وأن لا يحصر نفسه في مجال معين من البحث فالإنسان القديم على حد تعبيره لم يكن متخصصا بالمفهوم الذي نستعمله الآن فتراجم العلماء العرب منذ القدم تزدحم بالنماذج التي بدأ أصحابها حياتهم الثقافية بالشعر... ثم تحولوا من الشعر إلى

[1]- المصدر نفسه، ص 154.
[2]- حوارات، المصدر السابق، ص 154.
[3]- نفسه، ص 203.
[4]- منطلقات فكرية، المصدر السابق، ص 51.
[5]- مقابلة شخصية مع مراد وزناجي، المرجع السابق.
[6]- قضايا شائكة، المصدر السابق، ص 14.

التخصصات التي عرفوا بها... ونحن نعرف أن ابن خلدون مؤرخ وعالم اجتماع، وفيلسوف ولكن قلّ من يعرف أنّ له ديوان شعر ظلّ يزور(عبقر) الشعر حتى وهو يضع منهجه في علم العمران البشري[1].

- **الاهتمام بالتاريخ الثقافي بدل السياسي:** لقد أولى سعد الله التاريخ الثقافي للجزائر اهتماماً بالغًا وهذا يظهر من خلال كتاباته لتاريخ الجزائر، وقد اجتمعت عدة عوامل ساهمت في تغلب التاريخ الثقافي عن السياسي لدى شيخ المؤرخين، لعل من أبرزها ما يلي: إنّ الثقافة في جزائر الاستقلال لم تتجاوز في معالجتها للتراث المعرفي الجزائري عرض مواقف التحدي ومظاهر المقاومة و لم تهتم في إسهامها إلّا بالموضوعات الوطنية السياسية، والأعمال الثورية... ممّا جعل الاهتمام بالمواضيع الثقافية، والتعريف برجالاتها في آخر الانشغالات إن لم يكن من قبيل الترف الفكري[2]، كما أنّ المسائل الثقافية للجزائر خلال العهد العثماني لم تنل حظا أوفر من الدراسات، هذا راجع إلى اهتمام الباحثين بالأحداث السياسية والعسكرية والقضايا الاقتصادية والاجتماعية، بالإضافة إلى طبيعة الحكم العثماني بالجزائر، الذي تميز وجوده بالطابع العسكري على حساب الجانب الحضاري[3]، وهذا ما جعل عملا رائدا من قبيل " تاريخ الجزائر الثقافي" في ظروف الجزائر الحالية، بمثابة مشروع مخالف للمألوف بل عمل خارج عن السلوكات المتعارف عليها في عالم الثقافة الجزائرية[4]، وجانب من رصيد تاريخي لباحث شغوف إلى الافتتان بالبحث في التراث الثقافي للجزائر خلال العهد العثماني، حيث قال فيه المرحوم الشيخ البشير الإبراهيمي: « بأنه باحث شغوف إلى حد الافتتان بالبحث عن الآثار الأدبية والعلمية لعلماء الجزائر في جميع العصور»[5].

أمّا سعد الله فيقول في هذا الشأن أنّ تركيزه على الثقافي بدل السياسي لأنّه يعتبر المجال الثقافي هو الركيزة أما الجانب السياسي فهو حقا ضرورة، ولكن يجب أن نتكون قوميا، وثقافيا لكي نطالب بالاستقلال والهوية وكينونة سياسية[6]، وسعد الله يفضل تاريخ الفكر والثقافة وذلك لتكوينه الأدبي، ويمكن أن يكون السبب وراء عدم كتابته حول تاريخ الثورة هو خوفه من أن يتغلب على كتاباته الذاتية بحكم أنه أحد المشاركين في هذه الثورة وقد كتب قائلاً: «إنّي أعرف بعض المؤرخين الجزائريين الذين إذا كتبوا عنها من وجهة نظر أحزابهم أو الهيئات التي كانوا منتمين إليها قبل الثورة، وأعتقد أنّ مؤرخي الثورة سيتأثرون أيضاً بدورهم فيها» وبتعبير آخر كان يخشى أن يكون من هؤلاء المؤرخين[7]، إنّ اهتمام أبو القاسم بالتراث العربي

---

[1]- حوارات، المصدر السابق، ص 209.

[2]- سعيدوني(ناصر الدين)، **أبو القاسم سعد الله: كلمة وفاء**، الجزائر: البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، 2015،ص 66.

[3]- عياشي بلقاسم، **قضايا التاريخ العثماني عند الباحثين الجزائريين منذ 1962**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف صالح فركوس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، السنة الجامعية(2006- 2007)، ص 59.

[4]- سعيدوني ناصر الدين، المرجع السابق، ص 66.

[5]- عياشي بلقاسم، المرجع السابق، ص 40.

[6]- حبر على ورق، المصدر السابق، ص 247.

[7]- لونيسي رابح، **"العوامل المؤثرة في الخطاب التاريخي لأبي القاسم سعد الله"**، عصور الجديدة، ع:13، 2014، ص 280.

الإسلامي للجزائر، بعدما تعرض للإهمال من طرف المستعمر يهدف إلى تأكيد انتماء الجزائر إلى الأمة العربية الإسلامية، وذلك ببعث رصيدها الثقافي من أجل تأصيل مستقبل الجزائر الذي قيل عنه أنّه يقوم على التعددية اللغوية والثقافية وبالتالي نفي الأصالة العربية والإسلامية عن الجزائر[1]، وانطلاقًا من ذلك نلاحظ أنّ هناك نزوعًا واضحًا وتوجهًا مسيطرًا على اهتمام سعد الله، يتمثل في تعلقه بالتراث الأصيل للأمة الجزائرية ومحاولة العيش في إطاره... وهذا ما عبّرت عنه العديد من مقالاته ومحاضراته، وتعليقاته ومقابلاته[2].

ويذكر سعد الله أنّه لما توجه إلى الدراسات التاريخية كان اهتمامه بتاريخ القوميات وتاريخ الشعوب ووجد أنّ الحركات القومية ظهرت في القرن 19م، وبالخصوص في أوربا الشرقية ووسط أوروبا كانت تستند على قاعدة ثقافية لتعزيز الهوية... فوجد أنّ هذه البلدان أقامت قومياتها وذاتيتها في العصر الحديث على أساس الاهتمام بتاريخها من خلال التركيز على الثقافة، فأول ما بدأ به روّاد الحركات القومية هو الاهتمام بتاريخ الأمة الثقافي في الماضي، رجالها في الماضي وما قالوه عنها وماذا كتبوا...ولهذا تأثّر سعد الله بالقوميات وعلاقتها بالثقافة والتراث[3]، وقد أراد تصحيح الاعتقاد الخاطئ لدى المشارقة بأنّهم السّباقون في بعث التيار القومي العربي، ذلك أن المفكرين الجزائريين تبنوا الفكرة القومية منذ 1830م من خلال كتاباتهم التي تضمنت الدعوة إلى النهضة العربية والجامعة الإسلامية، ومنهم بن العنابي والكبابطي والمجاوي، لكن حسب قوله تواضع وجهل الجزائريين بقيمة مفكريهم جعل المشارقة ينسبون المبادرات لأنفسهم، وبرز في موقف سالم حجار[4]، الذي اتهم سعد الله بالنزعة القطرية[5]، من هنا يتّضح اهتمام ابو القاسم بالتاريخ الثقافي للجزائر بدل السياسي لأنّه يرى أنّ خلود الجزائر يرتبط أساسًا بإسهامها الثقافي ومشاركتها في المعرفة الإنسانية في نطاق الأسرة العربية الإسلامية[6]، الإسلامية[6]، ولعلّه انتهى إلى هذه القناعة بعد أن كتب كثيرا عن الحركة الوطنية والمقاومة الجزائرية بمختلف أشكالها ومظاهرها، ما غلّب الجانب السياسي وطغيان الطابع الحربي على الذاكرة التاريخية للجزائريين فحاول في موسوعته "تاريخ الجزائر الثقافي" أن يبرز الجانب الخفي من التاريخ الثقافي، وأن يعبر عن الوجه الآخر المتمثل في الطابع الفكري لتاريخ الجزائر وقد وفق في ذلك وعدل كفّة الميزان وحقّق توازنا في نظرة القارئ الجزائري لتاريخه"[7].

---

[1]- سعد الله(أبو القاسم)، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج1، الجزائر: دار البصائر، 2007، ص 04.

[2]- سعيدوني(ناصر الدين)، أبو القاسم سعد الله: كلمة وفاء، المرجع السابق، ص 24.

[3]- حبر على ورق، المصدر السابق، ص 246.

[4]- في مقال نشره بمجلة " أمال " في جوان 1983م، بعنوان " تاريخ الجزائر بنظرات سعد الله".

[5]- حوارات، المصدر السابق، ص-ص(108- 109).

[6]- سعيدوني(ناصر الدين)، المرجع السابق، ص 67.

[7]- سعيدوني،المرجع السابق، ص-ص(67-68).

● **منهجيته في كتابة التاريخ:** لقد كان في مقدمة المبدعين والمنتجين من أبناء الجزائر البررة سعد الله الذي كان في طليعة من أغنى المكتبة الجزائرية بزاد علمي مثمر وتراث معرفي مفيد، كما كان في مقدمة من جاهد بقلمه ولسانه ومواقفه لتكوين جيل جديد من مثقفي الجزائر، وما كان له ذلك لولا إخلاصه في رسالته العلمية ومهنته التعليمية... فقد ظلّ مرابطا في محراب العلم وقاعات البحث والدراسة طيلة مسيرته العلمية والمهنية، زوّد المكتبة الجزائرية برصيد غني في مجالات الأدب والشعر والتاريخ والنقد[1]، فالإنتاج التاريخي الجزائري في فترة الاستقلال... عمل على تجاوز المساهمة الفرنسية ذات الميولات الاستعمارية، إذ حاول تناول قضايا التاريخ الجزائري من خلال نظرة يمكن أن توصف بأنّها أكثر اعتماداً وأقرب إلى الحياد، لكن هذا الإنتاج لم يصل إلى حد إرساء أسّس مدرسة تاريخية جزائرية محايدة في أحكامها منهجية في أسلوبها وموضوعية في تقييمها لأحداث الماضي، وإن تميّزت ببعض الأعمال الناجحة لمؤرخين جزائريين فرضوا أنفسهم على الساحة الوطنية والدولية بمستواهم العلمي الأكاديمي المتميز[2]، فكان أبو القاسم سعد الله في مقدمة هؤلاء، ويرى أنّه لكي تظهر مدرسة تاريخية جزائرية يجب توفر عدة شروط منها الباحث الكفء والمنهج العلمي، والدخول إلى الوثيقة بحرية والمناخ الحر الذي يتقبل النقد البنّاء بصدر رحب ويرد عليه- إذا أراد- بروح رياضية[3]، وقد تميزت منهجيته في كتابة تاريخ الجزائر بعدة خصائص هي:

§ استخدامه لأسلوب سهل بسيط، اهتّم فيه بإبراز المادة التاريخية بعبارات قصيرة توضح المقصود، والتزامه بمنهج واحد.

§ نزعته التاريخية الوطنية التي تعتمد على تفسير الظواهر بالنسبة إلى الوسط التاريخي الذي ظهرت فيه، رافضًا التأويل المطلق.

§ تركيزه على أهمية تطوير مناهج الكتابة التاريخية وتبسيط أدواتها وإلحاحه على المزيد من البحث وعدم انطواء التاريخ على نفسه.

§ دفاعه عن سقوط التاريخ عند الجزائريين، والذين اعتبروه علم منعدم فيهم وساقط عندهم حيث كان منسوبا إلى الأخبار والسير العامة[4] ومتصلا بالأدب والمجون، مؤكدا على أنّه علم كباقي العلوم... إنّه علم له أصوله وقواعده ومناهجه.

---

[1]- نفسه، ص- ص(07- 08).

[2]- عياشي بلقاسم، المرجع السابق، ص 26.

[3]- وزناجي، المرجع السابق، ص 149.

[4]- بكاري عبد القادر، **" الجانب التاريخي في فكر الشيخ أبو القاسم سعد الله من خلال مقالاته في مجلتي الأصالة والثقافة"**، عصور الجديدة، ع:13، الجزائر: دار القدس العربي، 2014، ص- ص(338- 339).

§ حرصه على كتابة التاريخ الوطني الجزائري، وليس إعادة كتابة التاريخ كما فهمه البعض وهو الذي قال: « أكتبوا وإن لم تجدوا فبأظافركم»، وكان يؤكد دائما على أنّ تاريخنا لم يكتب بعد، وإن كان قد دوّن.

§ الوضوح، الأمانة، الموضوعية، التجديد، التشويق، هي عناوين الكتابة التاريخية عند أبو القاسم الذي خدم الحقيقة واحترم القارئ.

§ دائب النشاط والإنتاج، ويتجلى ذلك من خلال إنتاجه المتواصل في ميدان البحث، رغم الظروف الصعبة التي كان يعيشها، فهو القائل:« فلا المترل ولا الجامعة توفرت على الشروط الأولية للبحث».

§ كتابات سعد الله، التي تناولت مجالات عدّة في التاريخ هي أسلوب من السهل الممتنع في جمل بليغة دقيقة واضحة المعنى.

§ مرجعيته دائما الاستشهاد بالنصوص والوثائق والشهادات، فهو دائم التعامل مع الوثائق المخطوطة.

§ ينتهج منهج التحليل والمقارنة، ومعايشة الأحداث والإحاطة بكل جوانبها محليا وإقليميا وعربيا وإسلاميا ثم عالميا.

§ مولع بكل ما هو مفيد للتاريخ الوطني وترجمته إلى العربية، والتعليق عليه ونشره، واقتباس ما فيه من الفوائد والشوارد والتمعين فيها.

§ يرى الأستاذ سعد الله أن الكتابة فن وصناعة وهي كإبداع تقوم على العفوية والإلهام واللمحة الخاطفة ولكنها كصناعة تقوم على عنصر الإتقان والتجويد، والمراجعة فليس كل ما تلده القريحة ويخطه القلم كتابة[1].

§ إنّ من معالم المنهجية التي وضع سعد الله أسسها زعزعة الأحكام التي كانت بمثابة المسلمات، كان البعض منا لا يقبل أن يوجه نقد للحكم العثماني في الجزائر، فجاء هو بمنهجية علمية ومنطقية تاريخية، فوصف الحكام العثمانيين بالمغامرين واللاهثين حول جمع المال وبالتسلط والتعسف[2].

§ مؤرخًا أصيلاً وكاتبًا مبدعًا، فله الزاد المعرفي الوفير، والأسلوب اللغوي السليم البليغ، كما أن له منهجه المميز وطريقته الخاصة التي يعبر بها عن أفكاره، فضلا عن تفرده عن كثير من المؤرخين الجزائريين بابتعاده عن الأضواء وتحصنه وراء قناعاته الخاصة ورؤيته الذاتية[3].

§ لقد نأى بنفسه عن العواطف الصادرة عن الميول الجمعوية والناتجة عن الأفكار المستندة إلى الخرافات والتي غالبا ما تصدر في أساسها عن الإطراء المبالغ فيه أو العداء الصريح، فلم يتجاهل جهدا و لم يهمل موقفا لأن هدفه، حسب قوله: «إطلاع الجيل الحاضر ومن خلاله أجيال المستقبل على حقيقة الثقافة الجزائرية كما كانت».[4]

---

[1] - حوارات، المصدر السابق، ص 83.

[2] - قسوم عبد الرزاق، أعلام ومواقف في ذاكرة الأمة، المرجع السابق، ص 220.

[3] - سعيدوني ناصر الدين، أبو القاسم سعد الله:كلمة وفاء، المرجع السابق، ص 48.

[4] - سعيدوني،المرجع السابق، ص 93.

ب. إسهاماته النقدية في الكتابة التاريخية

- **الكتابة التاريخية في الجزائر (قديمًا وحديثًا) وموقف سعد الله منها**

يؤاخذ سعد الله على الجزائريين عزوفهم عن الكتابة ولو كهواية رغم بطولاتهم ومواقفهم البارزة، وأرجع هذا لحساسية الفرد الجزائري من التدوين والتوثيق قياسًا بشعوب أخرى فالجزائريون مقلون في تسجيل حوادثهم ما جعلها تضيع من ذاكرة الشعب الذي صنعها[1]، والكتابة التاريخية في الجزائر كجزء من العالم الإسلامي خضع تاريخها للاستعمار، مثلما تعرض له التاريخ العربي الإسلامي[2]، وفي هذا الصدد يقول: «...لا نملك تاريخاً شاملاً...» في ضوء الوحدة البشرية والجغرافية للجزائر وفي ظلّ الحضارة العربية الإسلامية، وهنا يثني على محاولة (عبد الرحمن الجيلالي) في كتابة تاريخ الجزائر من القديم للمعاصر وتبقى هذه التجربة قابلة للنقد والتقويم حسب رأيه [3].

§ **قديمًا** : الفترة العثمانية برزت فيها كتب المناقب والتصوف وفي تصور "سعد الله" أن هذه الكتابات جاءت كاحتجاج على التعسف والظلم الذي مارسه الجنود العثمانيون باسم السلطة العثمانية، فقد جاءت تمجيدا للمشايخ المعادين لها، وفي مثل هذه الكتابات نجد (كتاب البستان) "لابن مريم" في تمجيد علماء وصلحاء تلمسان، وفي المقابل بروز علماء مؤيدين للسلطة ما استدعى "عبد الكريم الفكون"صاحب (منشور الهداية) شنّ حملة على علماء عصره ومن بعده "الفضيل الورثيلاني"[4]، كما حكم على كتاب (طلوع سعد السعود) "لابن إسماعيل بن عودة المزاري" المنتمي لأسرة تولت الوظائف المخزنية [5] بالضعف كونه شمل حشو لا علاقة له بالموضوع هذا إضافة للأخطاء التاريخية واللغوية وضعف الأسلوب[6]، وما استوقف "سعد الله" هو كتاب (الطب والأطباء في الجزائر العثمانية) "لمصطفى خياطي " ومسّت دراسته الجانب الاجتماعي والسياسي، وما لمسه هو أنّ المؤلف انساق لسرد الحال دون اتخاذ أي موقف معادي اتجاه السلطة العثمانية ولا العلماء، فهو يدرج ضمن الواصفين لا الناقدين لهذا العهد، ومع هذا فدراسته تضيف الكثير[7] وفي ضوء هذا يقول:«...إن جبن الناقد هو السبب فيما تعانيه الجزائر من غياب النقد....» [8].

---

[1]- سعد الله (أبو القاسم)، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج 2، الجزائر:دار البصائر، 2007، ص-ص(07-08).

[2]- حوارات، المصدر السابق، ص-ص(164-165).

[3]- قضايا شائكة، المصدر السابق، ص-ص(38-39).

[4]- أبحاث وآراء، ج 5، المصدر السابق، ص-ص(184-185).

[5]-كعوان فارس، **المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي التاريخي1830-1962** :مساهمة في التاريخ الثقافي والفكري، شهادة دكتوراه، علوم في التاريخ المعاصر، عبد الكريم بوصفصاف، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، (2011-2012)، ص266.

[6]- سعد الله(أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المصدر السابق، ص، ص(380،384).

[7]- حبر على ورق، المصدر السابق، ص، ص(277، 281).

[8]- قضايا شائكة، المصدر السابق، ص66.

كما خصّت الفترة الاستعمارية بكتابات منها كتاب (المرآة) "لحمدان بن عثمان خوجة" سنة 1833 م الذي يعتبر من أوائل الكتب التي صدرت بعد الاحتلال، والتي حكمت عليه بالفشل من البداية واستنكرت جرائمه وزرع الوطنية وبثّ روح التضامن الإسلامي، وهو حسب رأيه من المصادر الأساسية في بداية الاحتلال ومن جهة أخرى أعطى أحكامه عن النظام العثماني والفرنسي[1] فيما مذكرات "أحمد باي" التي سرد فيها أحداث جرت بين الجزائريين والفرنسيين من(1830-1840م)[2] يورد "سعد الله" المكانة الهامة التي تحتّلها بين المذكرات إلّا أنّها في نظره تحوي بعض الثغرات في تقصي الأحداث، ومع هذا فهي مادة خصبة تلقي الضوء على حياته وعصره [3]، وما شدّ انتباهه أن الحملة على الجزائر لم تحظّ بدراسات من طرف المشرق والمغرب العربي بعكس الحملة الفرنسية على مصر باستثناء بعض الدراسات، ويوعز هذا التغاضي إلى هجومات "محمد علي"ضد الدولة العثمانية والذي ارتبط بالحملة الفرنسية على الجزائر وتغيير نظام الحكم في تونس والمغرب وطرابلس بعد هزيمة الجيش المغربي بمعركة "إيزلي"(1844)م وما نتج عنها [4]، ثم جاءت كتابات "الميلي والمدني والمدني والجيلالي" وفي هذا الصدد يقول:هناك تباشير لمدرسة وطنية للتاريخ بدأت منذ العشرينات والثلاثينات عبر "مبارك الميلي" ثم تلتها كتابات أخرى يعتبرها إرهاصات، هذه الأخيرة جاءت ردا على المستشرق الفرنسي"بيريز" الذي اعتبر الجزائر من دون مؤرخين بعكس تونس والمغرب [5]، واشترك هؤلاء في قضية واحدة وهي بعث الروح الوطنية والغيرة على التراث في نفوس الجزائريين، فجسدت تلك المؤلفات الشعور بالذّات التاريخية مجابهة بذلك النخبة الفرنسية الدّاعية للإدماج [6]وسعد الله يصنف هؤلاء ضمن الهواة وكتاباتهم جاءت لسّد الفراغ في التاريخ الوطني، ومن جهة أخرى ردّ فعل على الأجانب، ومن ثمّ توفير بعض الحقائق العامة عن التاريخ الوطني، ومع هذا لا ترقى لمستوى الجيل الجديد حسبه[7]، ففي نظر "سعد الله" أن الكتابة التاريخية متجددة يمارسها كل جيل بحسب المستجدات المحيطة وهذا بمثابة إقرار منه بفتح مجال البحث حتى في المواضيع التي خاضها والكتابة التاريخية تعكس المستوى الثقافي للأجيال بما في ذلك التجدد فيها[8].

وحول كتابات "البشير الإبراهيمي" في موضوع (الاستعمار الفرنسي في الجزائر) وصف معالجته لتاريخ الجزائر بالملفتة للنظر، كما كشفت النقاب عن هوية الشيخ الوطنية [9]، فيما اعتبر كتاب (ليل الاستعمار)

---

[1]- تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7، المصدر السابق، ص، ص(396، 401).

[2]- كعوان، المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي التاريخي(1830-1962): مساهمة في التاريخ الثقافي والفكري، المرجع السابق، ص128.

[3]- تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7، المصدر السابق، ص453.

[4]- أبحاث وآراء، ج 5، المصدر السابق، ص-ص(193-194).

[5]- سعد الله (أبو القاسم)، حصة حوار، التلفزة الجزائرية، 07ديسمبر1991، التاسعة مساء.

[6]- ميسوم بلقاسم، **الكتابات التاريخية الجزائرية خلال الفترة الإستعمارية 1830-1962**:دراسة تحليلية، شهادة دكتوراه، تاريخ حديث ومعاصر، بن يوسف تلمساني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر02،2011-2012، ص125.

[7]- قضايا شائكة، المصدر السابق، ص40.

[8]- حميدي، "قراءة في الإنتاج الفكري للدكتور سعد الله"، المرجع السابق، ص255.

[9]- أبحاث وآراء، ج 5، المصدر السابق، ص، ص(283، 286).

"لفرحات عباس"وثائق لإدانة الاستعمار لا كتاب في التاريخ [1] ربما لبروز فرحات كمثقف لا مؤرخ وفي هذا الشأن يقول:«...هناك فرقا بين دور المثقف ودور المؤرخ فالأول محرك للأحداث ومساهم فيها وفاعل مباشر، وأما المؤرخ فهو راصد ومفسر وكاشف...» [2] و"سعد الله "لا ينكر ما أعطاه "بن نبي" من معاني عميقة وواسعة وواسعة للتاريخ في حين أنّه تحدث عن صنع التاريخ و لم يدرج كتابته أو منهجه [3]، والملاحظ أن هناك مؤلفات تاريخية لجزائريين أمثال (الورثيلاني، العدواني، بن ميمون...) الذين ترجموا لرجالات العصر، وهدفها ربط الأجيال بالتّعرف على ماضيهم التليد ومن بعدها فترة (مبارك الميلي، الجيلالي...) [4].

فلكل جيل تاريخه ويبق أن نواكب التطورات الحاصلة وإلّا تتوقف مسيرة الإنسان وتجمد [5]، والمؤرخ الحق هو من يحكّم عقله وضميره في إصدار حكمه وبعيدا عن كل المؤثرات الخارجية [6]، لكن في ظل الظروف التي عاشها الجزائريون ربّما تصبح الكتابة معجزة، لذا يجب توفر ظروف مساعدة على خلق المؤرخ كالمحفزات والمناخ الحر والثقافة العالية حسب "سعد الله" [7] وفي نفس السياق يذكر:أنّ الشعب الجزائري لاينتج التاريخ بل يستهلكه وغياب المتخصص عنه جعله مبتذلا ويوعز هذا لافتقار الجزائر لدولة مركزية قديما وحتى أسرة مالكة أو سلطة تتزعم الفكر التاريخي [8].

§ حديـــثًا: هناك كتابات عن تاريخ الثورة على وجه الخصوص والحركة الوطنية بصفة عامة، لكن للأسف لم تكتب من طرف جزائريين وفي نظر "سعد الله": أنّ التاريخ الحقيقي من يكتبه أبناء البلد عن أنفسهم وتبقى وجهات النظر الأجنبية كعامل مساعد [9]، وللأسف كما أورد "سعد الله":أننا شعب يخشى كتابة التاريخ فهو يفضل أن يهمل ويقبر التاريخ حتى يرضي نزعات فردية [10]، والخوف هذا تتشارك فيه أطراف من أحداث ورجال وأفكار وهذه الأخيرة تعتبر أقسى أنواع الخوف، ذلك أنّ الأحداث تنتهي والرجال تموت لكن الأفكار باقية [11]، ويرى أنّ كتابة التاريخ الحقيقي تخص الأكاديميين المبنية على التفاسير العلمية، وهذا لتحرير الماضي من

---

[1]- سعد الله(أبو القاسم)، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 9، الجزائر: عالم المعرفة، 2011، ص559.

[2]- حوارات، المصدر السابق، ص43.

[3]- تاريخ الثقافي، ج 9، المصدر السابق، ص 560.

[4]- بكاكرية جودي، **المثقفون وإشكالية التاريخ في الحقل الثقافي الجزائري**: (دراسة مقارنة بين أحمد توفيق المدني ومصطفى الأشرف)، رسالة لنيل شهادة الماجستير، عبد الغني مغربي، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص69.

[5]- حوارات، المصدر السابق، ص 179.

[6]- سعد الله (أبو القاسم)، أبحاث وآراء، ج 2، المصدر السابق، ص236.

[7]- سعد الله(أبو القاسم)،**أبحاث وآراءفي تاريخ الجزائر**،ج 4،الجزائر:دار البصائر،2007، ص08.

[8]- حوارات، المصدر السابق، ص 155.

[9]- حوارات،المصدر السابق، ص-ص(38-39).

[10]- سعد الله، حصة تلفزيونية (حوار)، المرجع السابق.

[11]- حوارات، المصدر السابق، ص 48.

الاستنتاجات الخاطئة و"سعد الله" من ضمن هؤلاء الذيـــن أعـــادوا الأمور لنصابها[1]، لكن بقيت بعض المؤلفات تنجّر وراء الكتابة السردية من منظور"سعد الله" ونستشهد هنا برسالة "يحيى بوعزيز" بعنوان (دور عائلتي المقراني والحداد في ثورة 1871م) وفي هذا الصدد يقول: «...هدفه توصيل الفكرة دون تصنع ولا اختيار للكلمات أو التلاعب بالألفاظ ولذلك اختار الموضوعات السياسية المعتمدة على الوصف والسرد والحكم السريع الفاصل...» ومع هذا فهو يدرجه ضمن القلائل الذين ساهموا في كتابة التاريخ تأليفًا وتحقيقًا [2]، وفيما يخص مؤلفات الثورة ففيها الجيد والرديء ولا زالت في مرحلة التعميم، وتمس الجانب السياسي والعسكري والبطولات دون الخوض في التفاصيل، وفي نظره هذا ما يفقد الثورة تميّزها عن باقي الثورات، ذلك أنّ النضال السياسي والعسكري تشترك فيه ثورات العالم، وما يبرز ثورة عن أخرى هو أسلوب التعامل مع العدو، والثورة الجزائرية مسّتها بعض الخصوصية في نحو ما كشفه "محمد الطاهر عزوي" في كتابه (المعاملات في السجون والمعتقلات)، الذي قدّم صفحات حيّة كونه عايش التجربة ودراسته شملت معتقل قصر الطير[3]، وكتاب (الجزائر عبر الأجيال) لصاحبه "مسعود مجاهد" الذي ظهر في 1963م، يدرج فيه أهمية النقابة في إفادة الثورة وحسب "سعد الله" هذا الكتاب لا يفيد القارئ في معرفة خبايا الثورة وتاريخ المقاومة فهو كتاب للإعلان عن صاحبه أكثر من الإعلان عن موضوعه [4]، وحول المقالات التي نشرها أو ينشرها السياسيون في ظلّ التعددية السياسية بخصوص الثورة، فيظهر حزب يمجد "مصالي" وآخر ينسّاق وراء "فرحات عباس"، ففي تصوره أن هذه الكتابات مفيدة للمؤرخ لكن كتابة التاريخ تبقى من اختصاص المؤرخ لوحده[5]، فكل يكتب من وجهة نظره ويبقى على النفس أن تتحرر من الذات وتغتسل من رواسب الخلافات والتشرذم والتخلف [6].

كما وردت مذكرات "لمحمد برغام" في التسعينات وهو من المعاصرين للثورة وهو مثقف ودبلوماسي وما ميزها هو دفاعه الصريح عن زعيم حزب الشعب "مصالي الحاج"، مشيرا للمؤامرة التي تسببت في عزله متهما خصوصا "محمد بوضياف"، وقد وصفها "سعد الله" بالبسيطة وتحليلها مباشر لا يرقى لمستواه الدبلوماسي [7]، وحول معاصرة المؤرخ للأحداث يرى أنّها سلاح ذو حدين، فالقريب منه يكون الأقدر على الوصف وفي ذات الوقت حجابا لستر الحقيقة [8]، وأعتبر "بشير بلاح" صاحب كتاب (تاريخ الجزائر المعاصر) بالمتوازن في مقاربته والشامل في معالجته، وكتب حسب المناهج الحديثة وهو من معاصريه، كما أرّخ للحركة الوطنية ثم

[1]- حميدي، "قراءة في الإنتاج الفكري للدكتور سعد الله"، المرجع السابق، ص251.
[2] - حبر على ورق، المصدر السابق، ص-ص(233-234).
[3]- أبحاث وآراء، ج 5، المصدر السابق، ص 294.
[4]- تاريخ الجزائر الثقافي، ج 9، المصدر السابق، ص، ص(560، 563).
[5]- حوارات، المصدر السابق، ص 158.
[6]- حصة تلفزيونية (حوار)، المرجع السابق.
[7]- حبر على ورق، المصدر السابق، ص، ص(291، 293).
[8]- حميدي، "قراءة في الإنتاج الفكري للدكتور سعد الله"، المرجع السابق، ص255.

الثورة فالجزائر المستقلة، وفي تصوره أنّ هذا الكتاب قدّم موسوعة في التاريخ تخدم القارئ والباحث معا ورغم ضخامته إلّا أنّه ألمّ بكل التفاصيل التاريخية للجزائر [1]، وقد تدّعمت الجامعة بإنتاج أطروحات الماجستير والدكتوراه التي تنذر بتأسيس مدرسة وطنية جزائرية للتاريخ، ونورد هنا رسالة "عبد الحميد زوزو" في 1992م بعنوان (التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي لإقليم الأوراس 1837-1939)، وحسب "سعد الله" فالأطروحة ينطبق عليها (الموسوعة الأوراسية) كونها تناولت جانب أقدم وأبعد من العنوان وحول إرضاء الأوراسيين بهذا العمل يرى:أن المعالجات القبلية لم تعد من المسلمات العلمية لذا يستحيل إقناعهم، ولكن عمله سيبقى مرجعا أساسيا لتاريخ منطقته ولتاريخ الجزائر[2]، إلى جانب هذا هناك رسالة "نجاة بية" بعنوان: (المصالح الخاصة والتقنية لجبهة وجيش التحرير الوطني 1954-1962)، تطرقت فيها لنظام الاتصالات السلكية واللاسلكية الحسّاس، ويشير"سعد الله" أنّ هذه المصالح ظلّت محافظة على حيادها في الأزمات مثل أزمة الحكومة المؤقتة مع قيادة الأركان، وكتابها سيسد فراغاً في تخصصه وسيفتح شهية الباحثين الآخرين ليدخلوا ميدانا ظلّ مستعصيا على من يحاول الركض فيه[3].

ويؤكد أنه إلى الآن لم يتم تحديد معاني ومدلولات الكتابة وهذا من سلبياتها[4]، والملفت للنظر أنّه باستثناء باستثناء بعض المحاولات فالجزائر لا ريب بلا مؤرخين والدليل هو أن معظم من تناولوا تاريخها هم كما عبر عنهم "سعد الله" بالغرباء أو الأعداء لها سياسيا وثقافيا[5]، ويضاف إلى هذا أنّه مع تحرير الجزائر اعتقد صنّاع التاريخ الأحياء أنّ كتابته كل حسب روايته وإلّا فهو تاريخ مزّور ما جعل الخوض في تاريخ الجزائر المعاصر محتشمًا[6]، كما أنّ تسييس التاريخ والجهوية قد أضرَّ بالحكم عليه[7]، وما يظهر جليا أنّ كتابات بعض الجزائريين الجزائريين هي امتداد للمدرسة الفرنسية ففي نظره أنّ معالم المدرسة الجزائرية لم تنضج بعد وفي هذا السياق يقول:«...إنّ ذلك يحتاج إلى وقت وتربية وعقيدة...»[8].

- **قراءات المدرسة الاستعمارية والإستشراقية لتاريخ الجزائر والموقف النقدي لسعد الله منها**

§ **المدرسة الاستعمارية:** احتكرت المدرسة الاستعمارية الكتابة في بلادنا، بهدف الحط من قيم الشعوب المستعمرة عموما والجزائر واحدة من ضمن هذه المستعمرات[9] وفي نظر "سعد الله" أن لهذه المدرسة مفهومان:

---

[1]- حبر على ورق، المصدر السابق، ص، ص(300، 302).

[2]- أبحاث وآراء، ج 5، المصدر السابق، ص، ص(300، 310).

[3]- حبر على ورق، المصدر السابق، ص، ص(287،290).

[4]- أبحاث وآراء، ج 5، المصدر السابق، ص 276.

[5]- حميدي، "قراءة في الإنتاج الفكري للدكتور سعد الله"، المرجع السابق، ص 257.

[6]- حوارات، المصدر السابق، ص 165.

[7]- حبر على ورق، المصدر السابق، ص 251.

[8]- قضايا شائكة، المصدر السابق، ص 139.

[9]- حوارات، المصدر السابق، ص 216.

فالأول يظهر من خلال تشويه مؤرخيها لتاريخ الجزائر بزرع الفتن والشقاق، أمّا الثاني فهو الطعن في انتمائنا الحضاري والإساءة لقطبي حضارتنا (الإسلام واللغة العربية)[1]، وقد تولى كتابة تاريخ الجزائر كتّاب عسكريون بالمهنة وحتى تراجمة مكوّنين تكوينًا خاصًا، ومن أمثال هؤلاء نجد "كاريت" الذي كتب عن (القبائل الجزائرية والعلاقات الاقتصادية) و"ب

§ بليسي ديرينو" وكتابه (أخبار الجزائر)[2]، وقد اعتبرت المصادر الأهلية هدف الفرنسيين في أبحاثهم، ومع هذا شكّكو بها واتّهموها بالتجريدية والمبالغة ويشير "وليام فارسي" في كتابه (تاريخ الجزائر العثماني) بنبذ هذه المصادر والاعتماد على المصادر الأوروبية وسار على نفس النهج "ستفان غزال" الذي ادّعى أنّ الباحث في العهد الإسلامي يدخل في ظلام دامس لعدم موثوقيتها، وفي هذا الصدد وإزاء إجحافهم لهذا المصدر يذكر سعد الله:«...أنّ الفرنسيين عملوا حثيثا على ترجمة الآثار العربية عن الجزائر في شتّى العصور...» منها دراسة "هنري ماسي" بعنوان (الدراسات العربية في الجزائر من 1830إلى 1930م)، حتى أنّهم استّغلو بعض المثقفين لهذا الغرض أمثال "محمد بن شنب" و"العنتري"وحتى الترجمات الفرنسية في مثل(الزهرة النيرة) "للتلمساني"و(تاريخ باشوات الجزائر) "لابن المفتي"[3]، وكتاب (تاريخ بايات قسنطينة) "للعنتري" أخذ عنه المترجمون وضبّاط المكاتب العربية دون ذكره أحيانا في مثل "فايسات" الذي طبع عمله باسم (تاريخ بايات قسنطينة في العهد العثماني)[4].

وتوعز هذه المدرسة اعتناق الجزائريين للإسلام إلى التقاليد الموروثة والفولكلور لا عن وعي وعقيدة ويظهر هذا جليا في نعت "الفتح العربي"(بالغزو العربي)، وطعنوا الجزائريين في وطنيتهم بأن أرجعوا صمود المقاومات اتجاه الاحتلال: إلى ضيق الأفق والتعصب الديني لا إلى الروح الوطنية ورفض الحكم الأجنبي وهذا ما أوردته كتابات "ترومللي" بعنوان (قدّيسو الإسلام الجزائري)، والكتابات التي حطّت من دور "الأمير عبد القادر" الوطني، بجعله شخصا متعصبا في البداية ثم صديقا لفرنسا في نهاية الأمر، وحسب "سعد الله":لو برز الأمير كمدافع وطني سيبطل عمل فرنسا في الجزائر[5]، كما خرجت هذه المدرسة بأحكام تجرّد الحكم العثماني في الجزائر من أي فضائل، منها حرمانهم من التعليم والثقافة، واعتبر "سعد الله" هذه الأحكام عامّة كون الظاهرة لم تخص الجزائر لوحدها بل مسّت الدولة العثمانية بأسرها، ودخولها قد أخذ وقتا بداعي التهديدات الإسبانية ويبرز أن الجزائر خضعت في ظلّها لسلطة مركزية بعدما كانت قبائل متناثرة [6].

---

[1]- قضايا شائكة، المصدر السابق، ص 134.

[2]- سعد الله(أبو القاسم)، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 1، المصدر السابق، ص20.

[3]- نفسه، ص-ص(27-28).

[4]- ميسوم بلقاسم، الكتابات التاريخية الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية، المرجع السابق، ص-ص(56-57).

[5]- أبحاث وآراء، ج1، المصدر السابق، ص 30.

[6]- ج 5، ص 173.

وفي مفهوم "سعد الله": أنّ هؤلاء الكتّاب والباحثين معظمهم من الهواة وكتّاب الثقافة العامة والتقارير الرّسمية لا مؤرخين بالمعنى الاختصاصي، والواضح أنّ هؤلاء الضبّاط العسكريين في فترتهم الأولى كان هدفهم جمع أكبر عدد من المصادر المكتوبة والشفوية بالإغراء وبالقوة أحيانا أخرى، باستثناء بعض الاختصاصيين المتميزين بالتحليل والنقد، ويستشهد بكتاب (القرون الغامضة) ل"إميل غوتيي" الذي يدرجه ضمن الكتّاب لا المؤرخين، والهدف من ورائه مساعدة الإدارة الفرنسية في السيطرة على مقاليد الحكم والدعاية للثقافة الفرنسية، وما استوقفه هو تناولهم لتاريخ الجزائر كمنطقة جغرافية وكقبائل متنافرة، وإهمالهم للشعب الجزائري الذي يقطن هذه المنطقة، وفي رأيهم أنها تخضع فقط للدول الكبرى، وحسب "سعد الله" جل الكتّاب خدموا السلطة الفرنسية[1].

§ **الإستشراق في الجزائر:** ظهر الإستشراق الفرنسي في الجزائر مبكرا بعد وقوع معظم الوثائق والمخطوطات بين أيدي المستشرقين منهم "بربروجر، ديسلان" [2] نهاية القرن 19م، وجلّ دراساتهم ربطوها بمصالح بلدانهم الاستعمارية ويعتبر"رينيه باصيه" باعث حركة الإستشراق الفرنسي في الجزائر، ومن تلاميذه "محمد بن شنب وسعيد بوليفة" [3]، وما ميّز هذه الفترة إنشاء المدارس العليا سنة 1880م وصادفت الذكرى المئوية للاحتلال وفي رأي "سعد الله": أنّ كتابة التاريخ ارتبطت أساسًا بالاستعمار ما يعني ذاتية المؤرخ وهذا الأخير عمل على تبرير تواجد الفرنسيين واستمراره[4]، ومن ضمن اهتمامات هؤلاء (الدراسات البربرية) الذي جاء في ظلّ جهود فرنسا لاحتلال تونس سنة (1881م) والمغرب سنة (1912م)، أما اهتمامهم بخصوص منطقة "زواوة "لقابليتها الإندماج مع الفرنسيين في نظرهم، وحسب "سعد الله" أن هذه النظريات جاءت بعد أن فشل الفرنسيون في إجبار الجزائريين بالتخلي عن هويتهم ووطنيتهم، وركّزو على القبائلية وحدها بدل دراسة البربرية كلغة للبربر[5]، وفي هذا الشأن حظيت منطقة المغرب العربي بدراسات من الأوروبيين قبل الاحتلال وفي أعقابه شملت دراسات حربية وسياسية فيما الجانب الحضاري والثقافي غيّب تماما، وما الدراسة التي قامت بها "آن تومسون" في كتابها (بلاد البربر في منظور المثقفين الأوربيين:عصر الأنوار) راصدة مختلف الآراء حول سكان المنطقة خلال القرن 18م ومبدية تنكر هؤلاء لماضي المنطقة وحضارتها[6]، وفي هذا الصدد يذكر "سعد الله":«...فالمؤلفة إذن تحاول في كتابها شرح الطريقة التي رأت بها أوروبا المتنورة بلاد البربر وكيف تحولت هذه التصورات وتصاعدت لكي تصل إلى شعارات الاستعماريين ...وما تزال لم تختف...» [7] والمسألة

---

[1]- نفسه، ج 1، ص، ص(34-37).

[2]- نفسه، ج 4، ص 43.

[3]- نفسه، ج 5، ص 220.

[4]- نفسه، ج 1، ص 23.

[5]- نفسه، ج 5، ص-ص(220-221).

[6]-أبحاث وآراء،ج5، المصدر السابق، ص، ص(236، 239).

[7]- نفسه، ج 5، ص 238.

القبائلية دليل على هذا التصاعد، فبعد أن بدأت في ظاهرها اجتماعية تطورت إلى مسألة لغوية، وما بدا أنّه اهتمام حضاري قد انتهى عشية الثورة بمشكل سياسي في رأيه، والملاحظ أن تعبير الأمازيغية مصطلح حديث العهد جاء لاستقطاب العناصر الغاضبة لغويا وثقافيا (الأكاديمية البربرية)، وهذا حتى يعوضوا فشلهم الذريع في مقاومة التعريب في منظوره [1].

والملفت هو أنّ أغلب الكتابات الفرنسية جاءت لهدف سياسي وليس علمي، وندرج هنا كتابة المستشرقان الفرنسيين "غوفيون أدمون"وزوجته "مارثا" في مؤلفهما (أعيان المغاربة) سنة 1920م، تناولوا فيه سيرة العلماء وزعماء الطرق الصوفية، وفي نظر"سعد الله" :أنّ هذا الكتاب جاء في إطار التحضير للاحتفالية المئوية لاحتلال الجزائر[2] ويضاف إلى هذه الكوكبة "شارل أندري جوليان" الذي اعتبره البعض نزيها ومعتدلا لكنّه سار في نفس اتجاه المدرسة الاستعمارية وأرّخ للمعارك الوطنية في كتابه (إفريقيا الشمالية تسير) وحمل لواء الدفاع عن الاستعمار الفرنسي، وأثار التفرقة باستعمال "البربر والعرب" [3] واعتبر الجزائر جزء من فرنسا في في كتاب (تاريخ الجزائر المعاصرة)، وفي اعتقاد "سعد الله" أن "شارل أندري جوليان" لم يؤرّخ للجزائريين وإنّما للقوة الاستعمارية التي احتّلت الجزائر في ظلّ قوانينها ونظمها وأعطى اسماً بديلاً للكتاب (تاريخ فرنسا في الجزائر) كون الدراسة لا تتوافق والعنوان[4]، والملاحظ أن منطقة المغرب العربي بدأت تشهد انفتاحا على دراسات بحثية من وجهة نظر غير فرنسية، فظهرت الكتابات الأمريكية التي لها اتجاهان فالأول مثلّه "مايكل كلارك" صاحب كتاب (الاضطراب في الجزائر) المساند للفرنسيين، فيما الاتجاه الثاني مثلّته "جوان غليسبي" (الجزائر تمرد وثورة) في 1959م حكمت فيه بقسوة الاستعمار الفرنسي[5]، وسارت على نفس المنوال الباحثة "جوليا كلنسي" في 1994م ببحث تحت عنوان (الأعيان المسلمون والاحتجاج الشعبي) وهي رسالة دكتوراه، وما لفت "سعد الله" أنّها بحثت من وجهة نظر غير فرنسية رغم اعتمادها على مصادرها كون هذه المكاتب عملت كأجهزة مراقبة وتحكم بمصير الأهالي في نظره[6]، كما أثنى على محتوى الكتاب من وجهات نظر جديدة ومختلفة نوعا ما عن التفاسير المألوفة، وما يحسب لها هو اطلاعها على الأرشيف الفرنسي وكشفها لحقائق لم يصل لها الجزائريون ما أعطى ميزة للكتاب[7]، وفي هذا الصدد نجد حرص "سعد الله" على التعامل مع المصادر الفرنسية بحذر ونلحظ هذا في موسوعته الثقافية (تاريخ الجزائر الثقافي) التي اعتمد فيها على المجلة الإفريقية

---

[1]- نفسه، ص، ص(225، 228).

[2]- حبر على ورق، المصدر السابق، ص 213.

[3]- بكاكرية، المثقفون وإشكالية التاريخ في الحقل الثقافي الجزائري، المرجع السابق، ص77.

[4]- أبحاث وآراء، ج 1، المصدر السابق، ص، ص(59، 61).

[5]-سعد الله(أبو القاسم)،**أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر** ،ج 3،الجزائر:دار البصائر،2007، ص-ص(168-169).

[6]- أبحاث وآراء، ج 5،المصدر السابق، ص، ص(253، 257).

[7]- أبحاث وآراء،ج5،المصدر السابق، ص 272.

وآخرين، ومع هذالم ينسّاق وراء هذه الكتابات [1]، ويضاف إلى هذه الكوكبة كتاب (المحاكم الشرعية الإسلامية والدولة الفرنسية) لـــ"آلان كريستيلو" وهي أيضاً أطروحة دكتوراه نشرت في 1989م، تناول فيها شخصيات لعبت دورا في ميدان القضاء مثل"سعيد بن الموهوب"، وما استحسنه "سعد الله" في هذا الكتاب هو ربط "كريستيلو "بحثه بالحركة الإصلاحية التي ظهرت بالجزائر بين الحربين بقيادة "بن باديس"، وكشف أنّ جلّ رجالات الإصلاح هم أحفاد لرجال الدين الذين ثاروا سابقًا ضد السلطة الاستعمارية، وبهذا يتحقق ربط آخر بين أجيال الحركة الوطنية، وهذا ما أكدّه "سعد الله" أيضاً في أنّ الحركة الوطنية وليدة الاحتلال بخلاف بعض الدارسين [2].

الجزائر واجهت مخططا للتشكيك في الوطنية وقدرة العربية بدأ مع الإحتلال، ساهم فيه مستشرقين وتواصلت هذه المخططات إلى ما بعد الإستقلال، هدفها تمزيق وحدة الجزائريين بخلق النزعات وتعدّد الثقافات واللغات وحسب "سعد الله" «...إذا ضعف اللسان الواحد ضعف الفكر الواحد أيضاً وإذا ضعف هذا حلّ الإنقسام والتمزق...» [3]، وتجسّدت هذه المخططات عبر اجتماعات مشتركة حضرها بعض الجزائريين المعروفين بولائهم الأوروبي، وبفكرهم الاندماجي الفرانكفوني، ومن الذين مثّلو التقارب المتوسطي "روبير مونتيران" و"جاك بيرك" لذا فهو يحذر من أبعاد هذه المخططات ومن الوقوع في مغبّة التبعية لا المبادرة [4]، وفي نفس السياق تجد "سعد الله "يرّكز بشكل كبير على العملاء الذين أصّلوا للثقافة الفرانكفونية لذا تجده صاحب موقف صارم اتجاههم ومقالته الشهيرة (الحاج ديكارت) فضحت هؤلاء الفرانكفونيين، لذا فهو مقصى من هذه الكتابات وحتى بعد وفاته لم تذكره هذه الصحافة باعتباره خصما لها[5]، وما خشيه "سعد الله " هو أن يبقى المصدر الوحيد لمعلومات لجزائريين وحتى للراغبين في التعرف على تاريخ الجزائر من غير الجزائريين هو المدرسة الفرنسية، وفي هذا الإطار يقول: «...تصبح الكلمة الفرنسية هي الفصل في تاريخ الجزائر كله ماضيه ومعاصره...» [6].

[1]- حرمة(لحسن)، ذاكرة وطن:**شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله سيرة ومسيرة**، إذاعة أدرار، 23 أوت2014 م.

[2]- في الجدل الثقافي، المصدر السابق، ص-ص(235-236).

[3]- حوارات، المصدر السابق، ص-ص(103-104).

[4]- نفسه، ص 89 .

[5] - بلغيث(محمد الأمين)، **التاريخ يسجل**، الإذاعة الثقافية، 2014/12/17، الثامنة ليلاً.

[6]- قضايا شائكة، المصدر السابق، ص 146.

الخاتمة

لقد حاولنا بمناسبة الحديث عن هذه الشخصية الجزائرية الفذة استحضار بعض الأسباب الظاهرة والخفية لتبلور الهوية الجزائرية الإسلامية العربية، وكذا محاولة الخروج بجملة النتائج والتأثيرات التي انعكست بها على الوسط الجزائري، وإن نحن لم نصل إلى استيفاء جميع المعلومات عن هذا الموضوع فلعله من الممكن أن يكون عملنا المتواضع منيرًا سبيل من سيأتي بعدنا لمعالجته بشكل أعمق، هذا ولا ندعي أننا أتينا على سيرة الشيخ - رحمه الله- وإنما قصدنا توضيح بعض معالم سيرته التي تحتاج إلى نفس أرق، وفقه أدقّ وذكاء أكبر وإيمان أعمق، كما أننا لا ندعي لعملنا هذا العصمة أو الكمال، فهذا شأن الرسل والأنبياء، ومن ظنَّ أنه قد أحاط بالعلم فقد جهل نفسه، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾- سورة الإسراء: الآية (85)، يقول الثعالبي: «لا يكتب أحد كتابًا فيبيت عنده ليلة إلا أحبَّ في غيرها أن يزيد فيه أو ينقص منه»، هذا في ليلة، فكيف في أشهر معدودة؟ وقال العماد الأصبهاني: «إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابًا في يومه إلا قال في غده، لو غيرت هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يُستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر».

لن نكون مبالغين إذا جزمنا بالقول أن حياة وأعمال الشيخ أبو القاسم سعد الله ومآثره قد شكَّلت أو كادت نواةً حقيقية لحركة تاريخية وأدبية في الأمة الجزائرية قاطبة، وهو ما أشار إليه عدد من المهتمين بالبحث في حياته وتراثه، لقد استطاع الشيخ أبو القاسم سعد الله بمنهجه في البحث والتدريس وأسلوبه في التعامل مع الواقع المحيط به أن يعطي لنفسه مكانةً عظيمة بين معاصريه، وباتت دروسه ومؤلفاته مدرسة روحية واجتماعية وأدبية وعلمية تربى عليها العديد ممن تتلمذ على يديه، فكان بذلك من أوائل من نبّه الأجيال الجزائرية الناشئة إلى ضرورة الاستفادة من عظمة تاريخنا بدون تحيّز، والاستفادة بعلوم الغرب من دون انغلاق وتحفظ مقيت، من أجل النهوض والارتقاء، كما قام بتصحيح الكثير من المفاهيم المغلوطة في أذهان العامة عن الدين والمجتمع والثقافة والتاريخ...

لقد جمع الشيخ أبو القاسم سعد الله في حركته التربوية والفكرية بين مختلف اهتمامات العصر، التي تشغل بال أمته، مثل: إصلاح الدين، ونشر وتطوير اللغة العربية، وبعث التاريخ الصحيح للأمة وإحياء أمجادها في نفوس الناشئة، والتعامل مع الحضارة الحديثة، والجمع بين الأصالة والمعاصرة، وإعادة الثقة إلى الأمة بنفسها، ونشر العلوم والمعارف واستحداث مناهج تربوية جديدة تبعث على التغيير المستمر، إلى غير ذلك من القضايا الحساسة، التي كان المجتمع يفتقر إليها، خلال عصره وهو ما يحيلنا إلى تبني الاستنتاجات الآتية:

- كان للبيئة التي نشأ فيها سعد الله والأماكن التي قصدها لأجل الدراسة دور بارز في رسم ملامح شخصيته، فالصحراء التي كانت أول ما استقبله غرست فيه صفاء الذهن وحب العزلة والصراحة والبساطة، وتونس التي هي أول عاصمة حل بها أدخلته إلى عالم الحواضر بما فيها من تناقضات، كما تعلم فيها الدين والأدب، وعاصمة الجزائر التي قضى فيها عاماً واحداً (1954-1955)م جعلته يكتشف غربته في وطنه الذي

اغتصبه الأجنبي، والقاهرة التي كانت مركز إشعاع فكري وسياسي في وقته، جعلته يؤمن بوحدة التاريخ والمصير العربي كما عرفته بشرائح أدبية جديدة فاختلط بها وناقش ونشر واكتشف ذاته بين الذوات الأخرى، أما رحلته إلى أمريكا فقد أعطته الحقيقة على الوجه الآخر للصورة الإنسانية والحياة والحضارة، كما أقنعه التقدم الذي حققه الإنسان الأمريكي خلال قرن أن الإنسان قادر على صنع المعجزات.

- وأمريكا كانت نقطة التحول في توجه سعد الله التعليمي نحو دراسة التاريخ، فحمل على عاتقه الدفاع عن راية بلده ترجمها من خلال مقالات غاصت في الجانب السياسي بفعل المد التحرري.
- والمتتبع لمشواره التعليمي يلحظ تمتع سعد الله بالروح الوطنية فهو حريص على التعريف بقضية بلده،ما يدل على تكوينه المبني على الوطنية والعربية والإسلام وهذا ما انعكس على نشاطه الصحفي والعلمي فقد نشط في مختلف القضايا التي تهم العالم العربي والإسلامي.
- كان سعد الله يقول عن إنتاجه انه مرآة نفسه فمن أراد أن يعرفه معرفة دقيقة عليه أن يغوص في إنتاجه وأن لا يكتفي منه بالإطلاع العابر والقراءة السطحية، كتب المفكر والكاتب الجزائري برغوث الطيب في شهادته عن الدكتور سعد الله في كتاب (أبو قاسم سعد الله بعيون مختلفة): «أن سعد الله أبدع وترك لنا ثروة حضارية، كون أن الساحة التاريخية بمحتواها الفكري والحضاري والثقافي كانت ولازالت وستظل الميدان الذي دارت وتدور وستدور فيه أقوى معارك المواجهة الفكرية والثقافية والاجتماعية والحضارية بين المشروع الاستعماري الاستئصالي والمجتمع الجزائري بل منطقة الشمال الإفريقي ولولا بقايا الوعي التاريخي الذي صمد في وجه الاستعمار لتغير التاريخ في هذا الشمل الإفريقي».
- كان اهتمامه بتحقيق التراث التاريخي من أجل الكشف عن الذات الجزائرية وإبراز مساهمتها في الحضارة الإنسانية عامة والحضارة العربية الإسلامية خاصة، وفي رأيه أنه من الخطأ أن نحصر التاريخ في قيام الدول وسقوطها وتصادم الجيوش وسير الملوك والعلاقات الدبلوماسية، بل أن التاريخ أصبح اليوم يشمل ميادين مختلفة اجتماعية واقتصادية وثقافية بل أن هناك تاريخاً للفنون وآخر للآداب.
- ساهم بدراساته التاريخية والفكرية (موسوعته الثقافية) في إبراز المساهمة الحضارية والإنسانية للقطر الجزائري وأصالته خلال الفترات السابقة،وبهدف تأكيد انتماء الجزائر للأمة العربية الاسلامية فما يميز سعد الله عن بقية الباحثين الجزائريين هو سجله الحافل بالمؤلفات في شتى المجلات الأدب والفكر والتاريخ، فقد بدأ الكتابة منذ 1953م وكانت كتاباته معظمها أدبية، أما في الستينيات فأخذت منحى جديد يتسم بالطابع الأكاديمي التاريخي، فكان رتاج شعب يصنع التاريخ ولا يكتبه و الأدهى والأمر من ذلك انه شعب لا يعترف لأي بطل في تاريخه .
- سعد الله كان يدعو إلى مدرسة تاريخية وطنية لإعادة كتابة تاريخ الجزائر الوطني بعيدًا عن الرؤية الاستعمارية الفرنسية الذاتية الطرح والتي سخرت للتواجد الفرنسي واستمراره ،لذا تجده ينادي على اتباع المنهج العلمي القائم على الموضوعية وحرية التعبير،ونلمس تناول أبا القاسم القضايا بحيادية.

- برز توجهه العربي الإسلامي من خلال دعواته إلى الوحدة العربية وعدم الوقوع في شراك المخططات الاستعمارية القديمة والحديثة والتشبث بالهوية والعمل على إصلاح الأوضاع الثقافية والاقتصادية من أجل تدارك التأخر التاريخي.
- اهتم سعد الله كثيرا بدراسة التاريخ الثقافي بصورة خاصة للجزائر وهذا ما جعله يهتم في دراساته بأدب الرحلة والرحالة الجزائريين كما كان له أيضا تجارب في الكتابة حول رحلاته الخاصة داخل الوطن وخارجه، وكان العلم بالنسبة إليه أولى من السياسة ففضل أن ينحاز إلى كتبه وأبحاثه.

هذه نبذة قصيرة من سيرته ونشاطه العلمي والتأليفي..... والفكري والأدبي والتاريخي؛ فأبو القاسم سعد الله واحد من أساتذة الجزائر العظماء الذين يجب أن تُسمى بهم أكبر معاهدها وأكبر الشوارع في مدنها، إحياءً لذكراهم ووفاءً لهم، يرحمهم الله

ستظل في الأذهان صور هذه النموذج الفريد من علماء الجزائر المعاصرة الذي قضى ما يقارب نصف قرن من الزمن في جنبات المعاهد والمدارس والجامعات الجزائرية مدرساً ومشرفاً ومحاضراً ومناقشاً ومصححاً ومراجعاً....، ينشر العلم ويروي العطشى من بحره المتدفق وعلمه الغزير. فرحم الله هذا الرجل المبارك من الأولين وجزاهم عن العلم وأهله أفضل ما جزى عباده العاملين.

الملاحق

دفتر الانخراط في المعاهد الزيتونية للطالب أبو القاسم سعد الله

دفتر الانخراط
في المعاهد الزيتونية

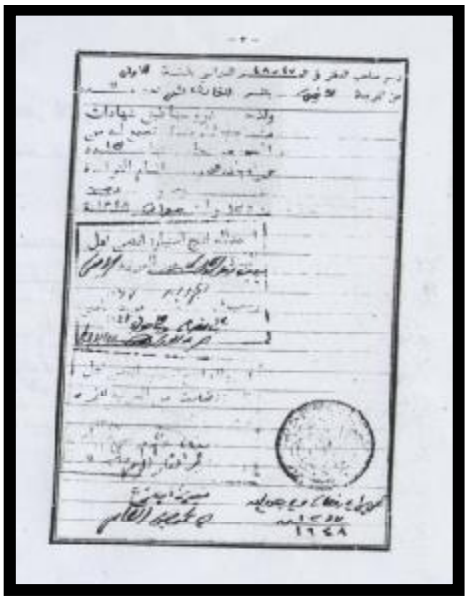

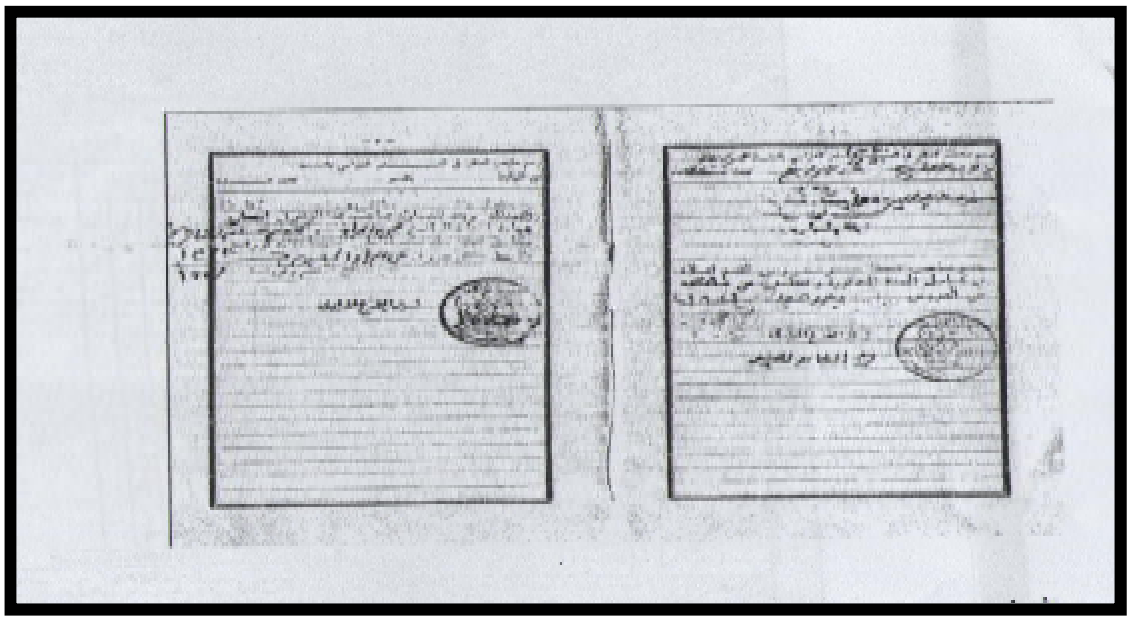

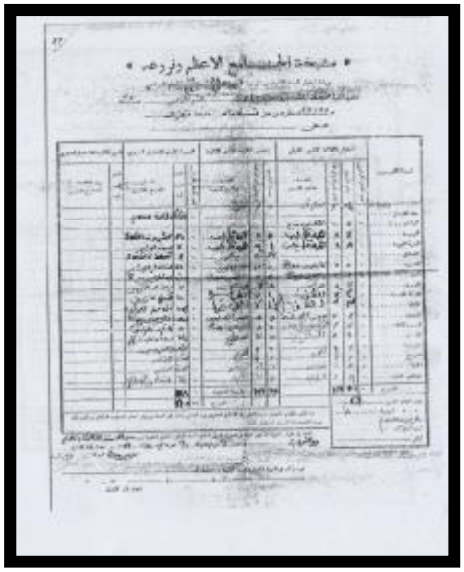

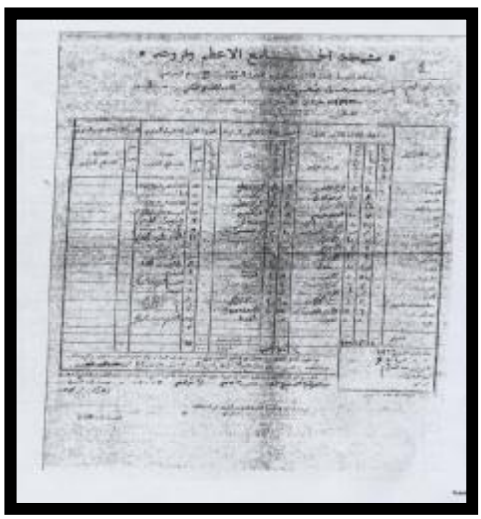

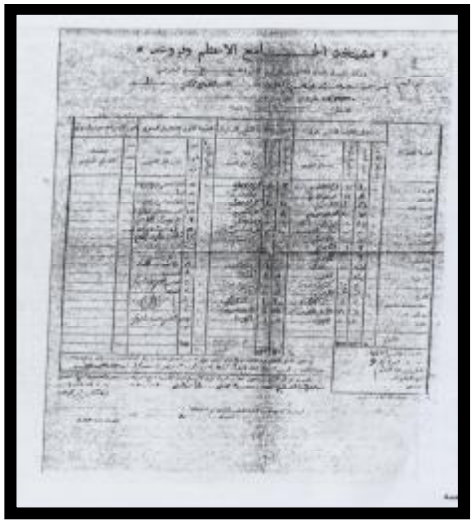

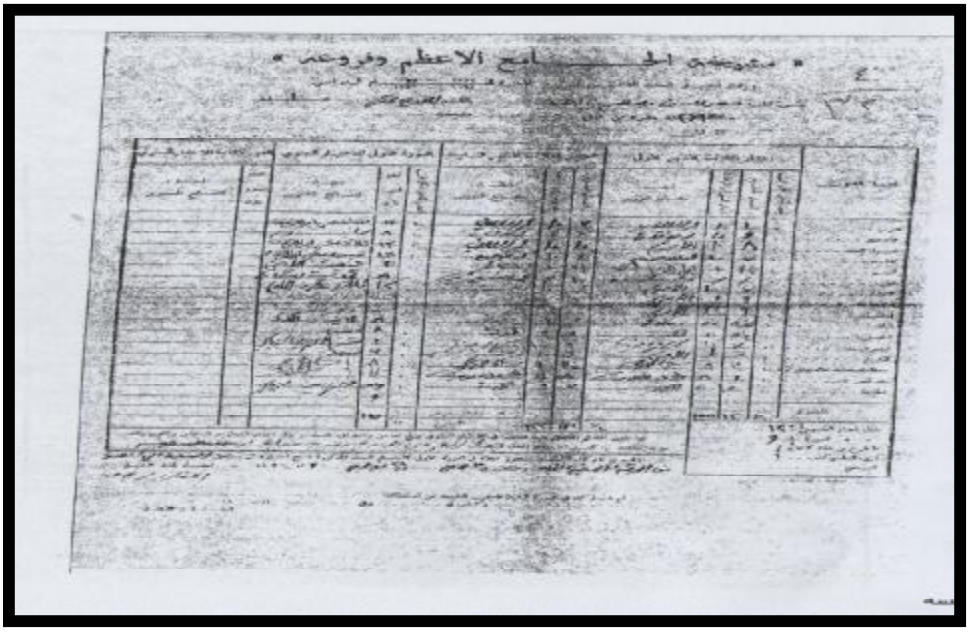

صور عامة للأستاذ أبو القاسم سعد الله

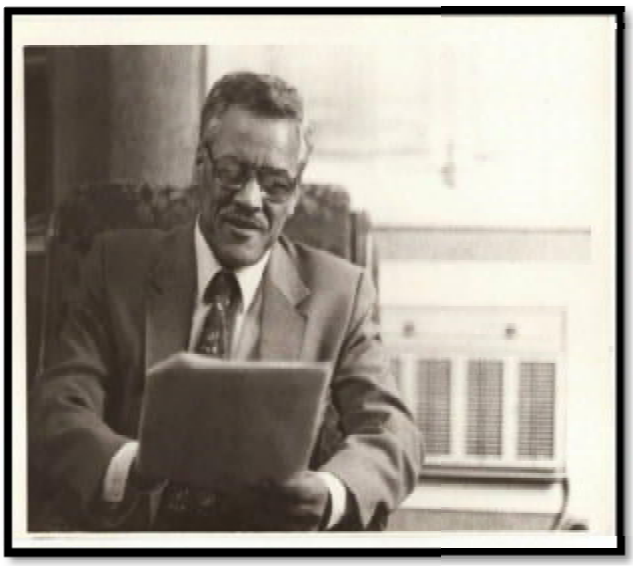

صـــــــــــــــورة مع

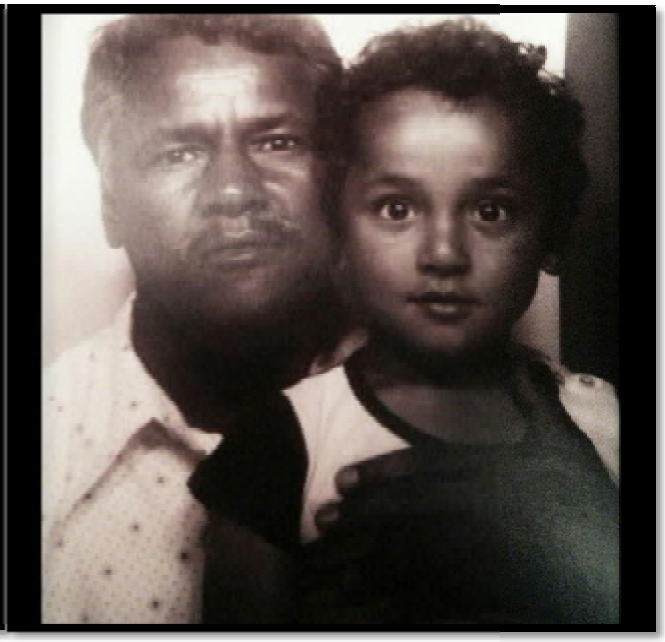

صـــــــــــــــورة في

صورة له مع طلبته في جامعة الجزائر

الفهارس

نستثني ذكر اسم أبو القاسم سعد الله لكثرة وروده في المذكرة

"أ"

إبراهيم:09.

بن إبراهيم باشا مصطفى:45.

الإبراهيمي البشير: 08، 18، 19، 20، 26، 46، 63.

بن أبي عصيدة البجائي:45.

أحمد بن علي بن محمد بن سعد بن مبارك بن جحيدر:09.

أحمد والد أبو القاسم سعد الله:09.

إدريس سهيل:61،20.

الأصرم علي:21.

الأمين العالم محمود:12.

"ب"

بن باديس عبد الحميد:08،15،ى19، 21، 22، 26، 29، 39، 69.

بن باديس المكي:14.

باصيه رينيه:68.

باي أحمد:62.

بحاز ابراهيم:13.

البخيت محمد عدنان:13.

بربروجر:53، 68.

برغام محمد:65.

بروكلمان كارل:41.

بن البرية أبو القاسم:18، 20، 30.

بسيس الصادق:21.

بشر كمال:21.

بلاح بشير:65.

بلغيث محمد الأمين:13.

بلقاسم كريم:24.

بوشامة الربيع:29.

بوضربة إسماعيل:55.

بوضياف محمد:65.

بوعافية:09.

بوعزيز يحي:64

بوليفة سعيد:68.

بومدين:27

بونمان مصطفى:55.

بية نجاة:66.

بيرك جاك:70.

بيريز:63.

"ت"

إبن تاشفين:43.

التبسي العربي:15.

تشرشل هنري:53، 54.

تلمساني:67.

التليلي محمد الطاهر:14، 18، 21، 26.

إبن تومرت:43.

تومسون آن:68.

توينبي آرلوند:39.

التيجاني محمد:08.

"ج"

جحيدر:09.

ابن جلول:14.

جوايو جورج:53.

جوليان شارل أندري:50، 69.

الجيلالي عبد الرحمان62، 63، 64.

"ح"

الحاج مصالي:65.

حجار سالم:14، 59.

الحداد:64.

الحسني اسحاق موسى:20، 21.

بن حسين القماري خليفة:08.

حفناوي:09، 10.

حقي يحي:20، 21.

بن حمادوش:44، 47، 55.

حقي يحي:20، 21.

أبو حمو الثاني:43.

حوحو رضا:26.

"خ"

بن خدة بن يوسف:24.

ابن خلدون:35، 57.

خلف بشير:14

خليفة جنيدي:23.

آل خليفة محمد العيد:20، 24، 46، 47.

خياطي مصطفى:62.

"د"

الدهان سامي:21.

ديرينو بيليسي:66.

ديسلان:68.

ديفو:06.

ديكارت:40، 50، 70.

"ذ"

الذهان سلمى:20.

"ر"

راندون:55.

ركيبي عبد الله:11، 12.

"ز"

الزبيري العربي:29، 30.

الزواوي يعلى:42.

زوكار الشاذلي:23.

زوزو عبد الحميد:25،29.

زيغود يوسف:30، 51.

"س"

بن سالم:11.

السحار جودة:20.

سعد الله إبراهيم:10، 11.

سعد الله أحمد:11، 15.

سعد الله البشير:10.

سعد الله خالد:10، 11.

سعد الله خيرة:10.

سعد الله الصادق:10.
سعد الله الطاهر:10.
سعد الله علي:10.
سعد الله عمر(إسماعيل):10.
سعد الله مباركة:10.
سعد الله محمد:10.
بن سعيد فرحات:06.
بن سعيد محمد:09.
سعيدوني ناصر الدين:12، 29، 36.
سيد وتش هارولد:20، 21، 30.

"ش"

الشاذلي القسنطيني محمد:47
بن شنب محمد:67، 68.

"ص"

صمادح منور:23.

"ع"

عباس فرحات:14، 24،63، 65.
عبد القادر:09.
الأمير عبد القادر:15، 47، 53، 54، 67.
عبد الله:09.
عثامنية عبد الله:11، 12.
بن عثمان خوجة حمدان:62.
عزوي محمد الطاهر:65.
علي:09.
علي كرام محمد:23.
علي محمد:63.
بن عمار أحمد:44.
عمارة رشيد:10.
العمالي احميدة:14.
أبو عمران:24.
بن عمر العدواني محمد:44، 64.
العنابي محمد:21، 59.
بن العنابي محمود:47.
العنتري:67.
بن عودة المزاري إسماعيل:62.

"غ"

غزال ستيفان:50، 67.
غزالي أحمد:16.
غليسبي جوان: 69.
غنيمي هلال محمد:21.
غوتيه إيميل:67
غوفيون أدمون:68.

"ف"

فاسيات:67.
فارسي وليام:67.
فرجاج أحمد:10.
فضلاء محمد الحسن:29.
فوكا ياما:39.
الفكون عبد الكريم:44، 62.

"ق"

قسوم عبد الرزاق:11، 14.

"ك"

كاريت:66.

كاسي ألبير:53.

الكبابطي:59.

كريستيلو آلان:50، 69.

كلارك مايكل:69.

كلنسي جوليا:69.

"م"

مارثا:68.

ماسي هنري:67.

بن مبارك الأخضر:09.

مجاهد مسعود:65.

المجاوي:59.

محمد:09.

المدني أحمد توفيق:57، 63.

مرباح قاصدي:15.

مزتيران روبير:70.

ابن مريم:62.

بن مسائب:55.

مسعودة:09.

بن مسعودة علي:09.

مطبقاني مازن:62.

معريش محمد العربي:12، 13.

ابن المفتي:67.

المقراني:64.

مهري محمد:11.

المؤدب مصطفى:21.

مورقان جوزيف:54.

الميلي مبارك:57، 63، 64.

بن ميمون:64.

بن ميهوب سعيد:69.

"ن"

الناصري أبي راس:55.

بن نبي مالك:63.

نصة مبروكة:09.

"هـ"

هالي الحفناوي:12،10.

هالي عبد القادر:10.

هالي العبيدية:09.

هالي فيصل:11.

هولبروك:21.

"و"

الورتيلاني:55، 62، 64.

وزناجي مراد:13، 17.

الوزير المختار:21.

ب.وولف:54.

"ي"

الياجوري عبد القادر:08.

الياجوري محمد مامة:18.

يوغرطة:41.

"أ"

الاتحاد السوفياتي:35.
الأردن:15، 28، 32.
اسرائيل:34.
الإسكندرية:24.
إفريقيا:31، 46.
أمريكا:11،10، 20، 21، 25، 27، 28، 30، 31، 35، 38، 39، 48، 55، 56، 57.
الأندلس:16، 34.
الأوراس:40، 50.
أوروبا:39، 54.
أوروبا الشرقية:59.

"ب"

بئر رومان:05.
باتنة:30، 51.
باجة التونسية:07.
باريس:10، 28.
البحر الأبيض المتوسط:06، 16.
البدوع:18، 30.
برلين:51.
بريطانيا:27.
بسكرة:05، 11.
. البوسنة:34.
بيروت:50.

"ت"

تماسين:05.
توقرت:05.
تونس:06، 09، 18، 23، 26، 29، 30، 34، 42، 44، 51، 63، 68.
تيزي وزو:40.

"ج"

جبال الأوراس:05.
الجزائر:05، 08، 11،10، 12، 13، 14، 15، 17، 18، 19، 20، 21، 23، 24، 25، 27، 28، 29، 30، 31، 33، 34، 35، 36، 40، 41، 42، 44، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 56، 58،57، 61، 62، 63، 65، 66، 67، 68، 69، 70.
الجزيرة العربية:33، 55.

"ح"

حضر موت:42.

"خ"

الخليج:16.
خنقة سيدي ناجي:55.

"د"

دمشق:28، 51.

"ر"
روسيا:39.
الرياض:28.

"س"
سان بول:27.
سان فرنسيسكو:27.
السعودية:21،10 ،28، 33، 54.
سوريا:10، 28، 33.
سويسرا:19.

"ش"
الشرق العربي:18، 23، 28، 32.
شط الجريد:05.
شط الغرسة:05.
شط مروانة:05.
شط ملغيغ:05.

"ص"
الصين:46.

"ط"
طرابلس:06، 51، 63.

"ع"
العراق:28، 33، 34، 35، 41، 49.
بن عكنون:32.
عنابة:55.
عين النعجة:17.

"غ"
غدامس:05.
الغرب الأوروبي:35.

"ف"
فرنسا:06، 10، 17، 27، 29، 36، 40، 41، 42، 54،50، 67، 69.
فلسطين:34.

"ق"
القاهرة:10، 19، 20، 21، 23، 24، 25، 26، 28، 29، 30، 46.

قسنطينة:06، 10، 29، 32.
قمار:07، 08، 10، 14، 16، 17، 18، 30.

"ك"
كاشرو:54.
كندا:25.
الكويت:10، 24، 27، 33، 34.

"ل"
لبنان:41.
لندن:21.
ليبيا:27، 44، 51.

"م"
مصر:19، 24، 28، 32، 33، 34، 41،
63.
معسكر:54.
المغرب:42.
المغرب العربي:26، 27، 29،28، 35، 42،
44، 50، 55، 63، 68.
ميزاب:40، 50.

"ن"
نفزاوة:05.
نفطة:05.
النمامشة:05.
نيوهمشر:25.
نيويورك:25، 35.

"ه"
الهرسك:34.
هولندا:54.

"و"
وادي ريغ:05، 06.
وادي سوف:05، 06، 09، 11، 14، 15،
18، 20، 44.
واشنطن:10.
ورقلة:05.
الوطن العربي:35.
وهران:21، 32.
ويسكنسن:30.

"ي"
اليمن:42.

الاستهلال

الإهداء

الشكر

المقدمة 01

الفصل الأول: أبو القاسم سعد الله النشأة والتكوين

1. **البيئة السياسية والثقافية والاجتماعية وأثرها في بناء الشخصية التاريخية لأبو القاسم سعد الله.** 05

أ. الإطار الجغرافي لمدينة واد سوف 05

ب. الأوضاع السياسية في منطقة وادي سوف 05

ت. الأوضاع الاجتماعية في منطقة وادي سوف 06

ث. الأوضاع الثقافية في منطقة وادي سوف 07

2. **المولد والنسب** 08

أ. مولده ونشأته 08

ب. عائلته 09

ت. شخصيته من خلال شهادة معاصريه ومن اهتم بتراثه 11

ث. وفاته 17

3. **تعلمه وشهاداته** 17

أ. مراحل التعلم والتكوين 17

ب. شيوخه وأساتذته 20

ت. إجازاته وشهاداته 21

الفصل الثاني: النشاط العلمي والوطني لأبو القاسم سعد الله

1. **نشاطه الطلابي والوطني** 23

أ. نشاطه في تونس(جامع الزيتونة) 23

ب. نشاطه في القاهرة(كلية الآداب) 23

ت. نشاطه في أمريكا(جامعة منيسوتا) 25

2. **نشاطه العلمي والصحفي** 26

أ. نشاطه العلمي والصحفي خلال الفترة (1952-1962) م 26

ب. نشاطه العلمي والصحفي خلال الفترة(1962-1968) م 26

ت. نشاطه العلمي والصحفي خلال الفترة (1968-2012) م 27
3. نشاطه التدريسي والتربوي 29
أ. نشاطه التدريسي بالجزائر العاصمة (خلال الفترة الاستعمارية) 29
ب. نشاطه التدريسي بمسقط رأسه (خلال المرحلة الاستعمارية) 30
ت. نشاطه التدريسي بأمريكا (خلال مرحلة ما بعد الاستقلال) 30
ث. نشاطه التدريسي بالجزائر المستقلة 31
ج. نشاطه التدريسي بالمشرق العربي 32
4. قضايا ومواقف لأبو القاسم سعد الله في السياسة والثقافة 32
أ. القضايا المرتبطة بالتاريخ السياسي المعاصر 32
ب. القضايا المرتبطة بالتاريخ الثقافي 36
الفصل الثالث: خصائص فن الكتابة والتأليف التاريخي عند سعد الله
1. آثار الشيخ سعد الله المرتبطة بالتأريخ 43
أ. قراءة وصفية عامة لآثاره وتآليفه في اختصاص التاريخ وما يتصل به 43
- في باب التحقيق التاريخي 43
- في باب التأليف التاريخي 44
- في باب المقالات والملتقيات 48

ب. قراءة وصفية عامة لآثاره وتآليفه في باب الترجمة والرحلة والترحال وما يتصل بهما 50
- في باب الترجمة وخصائص الفعل الترجمي 51
- في باب الرحلة والترحال 54

2. الكتابات التاريخية لأبي القاسم سعد الله 54
أ. الكتابة التاريخية 54
- أسباب التحول من الكتابة الأدبية إلى التاريخية 54
- الاهتمام بالتاريخ الثقافي بدل السياسي 57
- منهجيته في كتابة التاريخ 59

ب. إسهاماته النقدية في الكتابة التاريخية 61
- الكتابة التاريخية في الجزائر (قديمًا وحديثًا) وموقف سعد الله منها 61
- قراءات المدرسة الاستعمارية والإستشراقية لتاريخ الجزائر والموقف النقدي لسعد الله 66

منها
الخاتمة 70
الملاحق 73
الفهارس 78
قائمة المصادر والمراجع 85
فهرس المحتويات 90

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1) سعد الله أبو القاسم، أفكار جامحة، الجزائر:عالم المعرفة، 2011 م .
2) سعد الله أبو القاسم، هموم حضارية، الجزائر:عالم المعرفة، 2011 م .
3) سعد الله أبو القاسم، حاطب أوراق، الجزائر:عالم المعرفة، 2011 م .
4) سعد الله أبو القاسم، حبر على ورق، الجزائر:عالم المعرفة، 2011 م .
5) سعد الله أبو القاسم، حوارات، الجزائر:عالم المعرفة، 2011 م .
6) سعد الله أبو القاسم، حصاد الخريف، الجزائر:عالم المعرفة، 2011 م .
7) سعد الله أبو القاسم، مجادلة الآخر، الجزائر:عالم المعرفة، 2011 م .
8) سعد الله أبو القاسم، منطلقات فكرية، الجزائر:عالم المعرفة، 2011 م .
9) سعد الله أبو القاسم، مسار قلم، ج1، الجزائر:عالم المعرفة، 2011 م .
10) سعد الله أبو القاسم، مسار قلم، ج2، ج3، ج4، ج5، ج6،ج7، الجزائر:عالم المعرفة، 2011م .
11) سعد الله أبو القاسم، في الجدل الثقافي، الجزائر:عالم المعرفة، 2011 م.
12) سعد الله أبو القاسم، قضايا شائكة، الجزائر:عالم المعرفة، 2011 م.
13) سعد الله أبو القاسم، تجارب في الأدب والرحلة، الجزائر:عالم المعرفة، 2011 م.
14) سعد الله، أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، ج2، ج3، ج4، ج5، الجزائر:دار البصائر للنشر والتوزيع، 2007م .
15) سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ج7، ج9، الجزائر:عالم المعرفة، 2011م .
16) سعد الله، أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، ط1، بيروت:دار الغرب الإسلامي، 1992م .
17) سعد الله، أبو القاسم، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، مصر:دار المعارف، 1976م .
18) سعد الله، أبو القاسم، الطبيب الرحالة ابن حمادوش:حياته وآثاره، الجزائر:د.م.ج، 1982م .
19) سعد الله، أبو القاسم، محمد الشاذلي القسنطيني، الجزائر:الشركة الوطنية للكتاب، 1974م .
20) سعد الله، أبو القاسم، المفتي الجزائري ابن العنابي، الجزائر:الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1977م.

ثانيا: المراجع

- **الكتـــــــــــــــــــــــــــب**

1) بن إبراهيم، باشا مصطفى، حكاية العشاق في الحب والاشتياق، تحقيق: الدكتور أبو القاسم سعد الله، ط2، الجزائر، 1982م .

2) بلغيث، محمد الأمين، الشيخ محمد بن عمر العدواني، ط1، الجزائر:كرستال برنت ، 2002م

3) ب.وولف، جون، الجزائر وأوروبا، تر: أبو القاسم سعد الله، الجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986م .

4) تشرشل، هنري، حياة الأمير عبد القادر، تر:أبو القاسم سعد الله، ط2، تونس، 1982م .

5) حبيب، حسن اللولب، الطلبة الجزائريون: في البلاد التونسية(1876-1962)، تونس:دار سيدي الخير للكتاب، ب.ت.

6) بن حمادوش، عبد الرزاق، رحلة ابن حمادوش الجزائري، تحقيق وتقديم وتعليق:الدكتور أبو القاسم سعد الله، الجزائر:الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1983م .

7) خلف،بشير،من وحي الذاكرة مع الدكتور الراحل أبو القاسم سعد الله،واد سوف،مطبعة الرمال،2014م.

8) بن خيرة، نجيب، أبو القاسم سعد الله بعيون مختلفة، ط1، الجزائر:عالم المعرفة، 2014م .

9) عبادو ،السعيد،المدرسة التاريخية الجزائرية،الجزائر:وسام براس للإعلام والنشر والإشهار.

10) العدواني، محمد بن محمد بن عمر، تاريخ العدواني، تح:أبو القاسم سعد الله، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1966م .

11) عمار هلال، نشاط الطلبة الجزائريين إبان حرب التحرير، 1954م، ط2، الجزائر:دار هومة للطباعة والنشر، 2008م .

12) الفكون، عبد الكريم، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح:أبو القاسم سعد الله، ط2، الجزائر، 1982م .

13) قسوم، عبد الرزاق، أعلام ومواقف في ذاكرة الأمة:انطباعات جزائرية، ط1، الجزائر:الدار العثمانية، 2014م .

14) نور عبد القادر، شاهد على الحركة الطلابية أثناء الثورة الجزائرية (1954-1962)م، الجزائر:دار الخلدونية، 2011م .

15) وزناجي، مراد، حديث صريح مع أ.د أبو القاسم سعد الله في الفكر والثقافة واللغة والتاريخ، ط3، الجزائر:الحبر، 2014م .

- **رسائل التخرج**

1) عياشي بلقاسم، قضايا التاريخ العثماني عند الباحثين الجزائريين منذ 1962م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، صالح فركوس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، (2006-2007)م .

2) زقب عثمان، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة وادي سوف (1918-1947)م وتأثيرها مع العلاقات مع تونس وليبيا، رسالة ماجستير في التاريخ، يوسف مناصرية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، (2005-2006)م .

3) بن موسى موسى، الحركة الإصلاحية بوادي سوف:نشأتها وتطورها (1900-1993)م، رسالة ماجستير في التاريخ، أحمد صاري، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، (2005-2006)م .

4) كعوان فارس، المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي التاريخي (1830-1962)م:مساهمة في التاريخ الثقافي والفكري، رسالة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ المعاصر، عبد الكريم بوصفصاف، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، (2011-2012)م .

5) ميسوم بلقاسم، الكتابات التاريخية الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية (1830-1962):دراسة تحليلية، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، بن يوسف التلمساني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2، (2011-2012)م.

6) بكاكرية جودي، المثقفون وإشكالية التاريخ في الحقل الثقافي الجزائري(دراسة مقارنة بين احمد توفيق المدني ومصطفى الأشرف)، رسالة ماجستير، عبد الغني مغربي، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، (2008-2009)م .

- **المقـــــــــالات**

1) بعيطش، يحي، "خصائص الفعل الترجمي عند أبي القاسم سعد الله"، المجلة العالمية للترجمة الحديثة، ع:4، الجزائر :ستاربيب، 2010 م .

2) بلاح، بشير، "مختارات مسار قلم أبو القاسم سعد الله"، عود الند، ع:63، 2011/9 م .

3) بليل، محمد، "الكتابة التاريخية عند شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله بين العاطفة الذاتية والحقيقة التاريخية" ، عصور الجديدة، ع:13، الجزائر:دار القدس العربي، 2014 م .

4) حميدي، أبو بكر الصديق، "قراءة في الإنتاج الفكري للدكتور سعد الله"، عصور الجديدة، ع:13، الجزائر:دار القدس العربي، 2014 م .

5) خليفي، عبد القادر، "مع أبي القاسم سعد الله"، عصور الجديدة، ع:13، الجزائر، دار القدس العربي، 2014 م .

6) عبد الحق، شرف، "جهود الدكتور أبو القاسم سعد الله في تحقيق التراث، الجزائر:نماذج مختارة"، عصور الجديدة، ع:13، الجزائر:دار القدس العربي، 2014 م .

7) عبيد، مصطفى، "النشاط الثوري لأبو القاسم سعد الله 1947-1960م"، عصور الجديدة :13، الجزائر:دار القدس العربي، 2014 م .

8) عويمر، مولود، "ذكرياتي مع الصحافة"، مجلة البصائر، ع:733 .

9) قدور، عبد المجيد، "أبو القاسم سعد الله وتاريخ الجزائر المنقول عن الانجليزية"، المجلة العالمية للترجمة الحديثة ، ع:05، الجزائر:ستاربيب، 2010 م .

10) هلايلي، حنيفي، "أبو القاسم سعد الله بين ازدواجية التأليف والترجمة"، عصور الجديدة، ع:13، الجزائر:دار القدس العربي، 2014م .

11) يزيان، سعدي، "في رحاب الفكر والتاريخ:رحلة فكرية وأدبية في حياة شيخ المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله، مجلة البصائر، ع:437، 2009م .

12) أبو القاسم سعد الله، "من ذكرياتي مع الصحافة"، حولية المؤرخ، ع:3-4، الجزائر، اتحاد المؤرخين، 2005م.

13) حمادي، بشير، "جيل الثورة سلم الراية لمن لا يستحقها"، أسبوعية الحقائق، ع:28، 19 ماي 2007م

- **المقابلات الشخصية**

1) مراد وزناجي، كاتب وإعلامي، مركز البحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، 26-مارس2015م، التاسعة صباحا .

2) مصطفى نويصر، أستاذ جامعي وباحث في التاريخ، مركز البحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، 26-مارس2015م، العاشرة صباحًا .

- **الجرائد والصحف اليومية**

1) أبو القاسم، سعد الله، الشروق، ع:3856، الخميس 06 ديسمبر 2012م .

2) قسوم عبد الرزاق، "موسوعة فكرية منفتحة على المنهجية الواقعية"، الخبر، ع:7284، 2013/12/15م .

- **الحصص الإذاعية والتلفزية**

1) بحاز إبراهيم، إذاعة القرآن الكريم، الإثنين 2014/12/15 م .

2) أبو القاسم سعد الله، حوار، التلفزة الجزائرية، 1991/12/07 م، التاسعة ليلا .

3) لحسن حرمة، ذاكرة وطن:شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله سيرة ومسيرة، 2014/08/23 م .

4) محمد الأمين بلغيث، التاريخ يسجل، الإذاعة الثقافية، 2014/12/17 م، الثامنة ليلا .

5) موسى معيرش، ضفاف، القناة الأولى،2014/12/14م، التاسعة ليلا.

- **الأنترنيت**

1) رضوان شافو، منهجية البحث التاريخي عند أبي القاسم سعد الله، www.chihab.net .

2) شرشار عبد القادر، أبو القاسم سعد الله محققا وناقدا، www.difaf.net .

3) مياسي إبراهيم، "نبذة تاريخية عن وادي سوف"، مجلة أوراق ثقافية، 28 فبراير 2013 م، (نسخة الكترونية).